كتاب
التجويد
تأليف
محمد بن محمود الجزائري السمناني

١٦
٢٣٨٦

من كتب المرحوم حسن جبول باشا
للوزارة [illegible]
١٣٣٧ علي جبول الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، يا من يؤيد بنصره
من يشاء ، وله العز والجبروت والكبرياء ، أحمدك
على ما أوليت من الآلاء ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد
خاتم الأنبياء ، وعلى آله وصحبه الأتقياء الأصفياء ، أما بعد
فيقول العبد المستمد من الفيض الوهابي ، محمد بن محمد الحسيني
من المسانيد ، إنه لما حدث في هذه الأعصار الأخيرة
تغالب ملوك الأمم الكافرة ، بترتيب أجنادهم على طريقة
حكمية أبدعوها ، وتدريبهم على فنون حيل اخترعوها

تقصد

تقصد لكلمة الإسلام وأهله ، وسعيا في استباحة حماه
وتوهين شمله ، خيب الله آمالهم ، وكذب ظنونهم
وأبطل أعمالهم ، عظم الخطب في تفريق نظامهم ، ونفاذ
الحيلة دون نيل مرامهم ، فدعت ضرورة الحال إلى استعلام
ذلك من قبلهم ، والتدرب على ما اقتفوا من صنائعهم
وحيلهم ، فرتبت العساكر الإسلامية على نحو من ذلك نظاما
جديدا ، وصدر به من جانب السلطنة العلية أدام الله تأييدها
أمر أكيد تأكيدا ، وقيست ملابس الجند وخصصت ، وقننت
أوضاعها وتصرفت ، فاستنكر ذلك أناس ، وطرق أسماعهم من
بعض منتطعة وسواس ، وقد جرى بيني وبين بعض أفاضل
الإخوان ، في مجمع أنس جاد به الزمان ، كلام على
مثله ببالك ، فتوجه إلى خطابه بكتابة جواب على سؤاله
فلزمني أن أسعفه بما رام ، وأبديه بسطا يناسب المقام
فأقول فجوابه ملتذا بتجديد خطابه ، اعلم أولا
أنه قد عرف أن ترتيب نظام الجند على الوجه الذي ابتدعه

الكفرة يحصره أمران أحدهما أمور حربية والثاني أمور
سياسية فرتب الجواب على مقصدين وذيله بخاتمة مستعينا
بحوله تعالى وقوته. المقصد الأول في الأمور الحربية ونعني بها
كل ما أنتج قوة محسوسة أو معقولة على دفاع الأعداء
وإرهابهم وإغاظة نفوسهم وإضعافهم فكل هذه الطوائف
أمور شرعية لأن فيها إذلال الكفر وعزة الإسلام وعلو
كلمته فإنه المقصد الأعظم من شرعية الجهاد بإشارة
قوله تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة
الله هي العليا وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى
البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
فكل ما يفيد منفعة لها تعلق بإعزاز الدين ورفعة شأنه
مما اشتمل عليه النظام المستعمل للكفرة من ترتيب العساكر
وتصنيفهم وحصر أعدادهم وتعديد قوادهم وعرفائهم
وتمييز أصنافهم وكبرائهم بخصوص لباس أو علامة

وتضييق

وتضييق ملابسهم وتقصيرها وتبيان مواقفهم وعلمهم
وتخصيص كل فريق براية أو لواء ثم تدريبهم على عمل
الحرب بتعليمهم كيفية الرمي والطعن والضرب
وغير ذلك مما يقتضيه أمر الحرب من تصفيف واستدارة
واجتماع وافتراق وإقدام وإحجام وكر وفر وركوب
ونزول وظهور وكمون وتحريض وتثبيت ورفع
صوت وخفضه وردهم وحراسة وغير ذلك
مما قد تدعو إليه الحاجة فهو أمر مشروع بالنظر لأصله
لما ذكرنا ولاندراجه في عموم قوله تعالى وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم على ما بينه وسنعلم أن هذه الآية الكريمة
من أبدع جوامع كلم القرآن وأظهرها إعجازا لفظا
ومعنى لانتظامها جميع الأدوات والأسباب الحسية
والمعنوية المورثة قوة ظاهرة أو باطنة في إرهاب

الأعداء وانطباقها على جميع ما حدث قبل نزولها واستحدث
بعده كالأدوات والأعمال البارودية المتأخرة عنه
بنحو من ثمانمائة سنة الباهرة القوة حتى كأنها المقصود
بالذات وغير ذلك من المعاني الفاضلة بأوجز عبارة
وأوضح بيان فإعجازها مما يشترك في معرفته الخاص
والعام فسبحان اللطيف الخبير فقوله وأعدوا أمر
للأعداد وهو تهيئة الشيء لوقت الحاجة وضمير لهم للكفار
على الأطلاق لأنه الأنسب بسياق النظم الكريم إذ أفادت
المقصود من توجيه الأمر إرهاب المجاهدين بالعدا وعج
وغيرهم وبه جزم أبو حفص النسفي والمولى أبو السعود
وقيل لمن نقض العهد وهو الذي قدمه المولى الفارى
قلت وعليه فعموم الحكم من سواهم من الكفار والأعداء
مفاد من دلالة السياق وكلمة ما من قوله ما استطعتم
من أدوات العموم فيشمل الأمر لكل ما يتقوى به
في الحرب كائنا ما كان كما جزم به المولى أبو السعود

وعليه أرباب المعاني كما في كشف المعاني حذو الأسلاف
فأفاد اختلاف الحكم بحسب المقدرة فعلى أئمة الإسلام
وأمرائه ما يليق بمرتبتهم من تنظيم الأجناد وانتخاب
الرجال واستجلاب قلوبهم ببذل المستحق وإظهار العدل
والمبرة بالإحسان وتهيئة الأدوات والذخائر وتسديد
الرأي في ذلك وإعمال المشورة والاستعانة بذوي
النصائح والرأي والأخذ بالحزم بترك الركون إلى
السكون والدعة والتهاون بالأعداء وإن ضعفت
شوكتهم قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك
من حزم الملك أن لا يحتقر عدوه وإن كان ذليلا
ولا يغفل عنه وإن كان حقيرا فكم من برغوث
أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر
فلا تحقرن عدوا رماك ۞ وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب ۞ وتعجز عما تنال الإبر
انتهى وعلى المنتخبين لإقامة هذا المهم الشريف

من رئيس ومرؤوس بذل ما بأيديهم امتثال أمر السلطان
والمسارعة إلى إجابته لذلك لأنه من أهم فروض الكفايات
وإنما تتعين إذا عينها الإمام لوجوب طاعته في المباح
للنصوص التي جاءت بوجوب طاعته ما لم يأمر بمعصية
فضلا عما هو فرض كفاية وعليهم مع ذلك أن
يطيبوا أنفسهم لامتثال أمره ويعرفوا له حق رتبته فإنه
في خصوص هذا الأمر قائم بأمر الله تعالى نائب عنه
سبحانه في تنفيذ أمره ونصرة دينه وإعلاء كلمته فأمره
تبليغ لأمر الله وطاعته طاعة الله ورسوله فلا يلاحظ
في مثل هذا الأمر إلا بالتعظيم ولا يقابل إلا بالتلقي
والتكريم وهذه سبيل أمر جعل فيه سلاح أو طاعة
لما ذكرنا من الحث وقد روى مسلم في صحيحه عن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد
عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير

فقد

فقد عصاني وروى أيضا عن أم الحصين رضي الله عنها
أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن
أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا
له وأطيعوا وروى أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال على المرء المسلم
السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية
فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة والمراد من
الطاعة المطلوبة شرعا الانقياد ظاهرا وباطنا
بالامتثال ومدافعة الكراهة الطبيعية حتى لا تجر
إلى غيبة أو بغض من عظم الله حرمته وجعل طاعته
طاعته فيقع في كبيرة الغيبة ونفاق القلب ويخرج
عن الطاعة المطلوبة منه بالكلية فيدخل في عموم ما روى
أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من خرج من
الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية

وما روى ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن عامر بن
ربيعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات
وليس عليه طاعة مات ميتة جاهلية وان خلعها
من بعد عقده اياها في عنقه لقي الله تعالى ليست له
حجة على القاعدين الراغبين في ذلك والحث عليه من
بواعث المضامين فيه فضيلة الدال على الخير وقد روى
احمد والضيا في المختار عن انس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدال على الخير كفاعله
والاعتراف للمعينين بما لهم عليه من جميل اثنا حسب
العرض الا شق عنهم وعن الكافة ومقابلتهم بالاحسان
المستحق لهم بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
وكف الالسن عن ذكر ولاة الامر والامراء الا
بالثناء فان هذه الامور بواعث اجتماع الكلمة ولازم
لفرضه القوة المطلوبة الاتية فتندرج في ضمن الخطاب
الكريم قوله من قوة حال من ما مبينة لبيانها ومن لبيان

الجنس والتبعيض والقوة خلاف الضعف أي كون
الشيء بحيث يضعف غيره عن مقاومته وهو معنى اعتباري
لا تحقق له في الخارج فلا يتعلق التكليف به وانما المراد
منها الاسباب المحصلة لما يطلبان الاتصاف بها تسمية
للسبب باسم المسبب لنكتة الاشارة الى كمال الارتباط
بينهما في هذا المقام وان المفرط في استعداد الاسباب
والمقصر فيها معرض نفسه لغلبة الاعداء ويجي الصائر
اليه المعنى فاعدوا ايها المؤمنون للكافرين كل
ما تستطيعونه من الاشياء حال كون ذلك المستطاع
الشيء الذي هو سبب قوة او بعض اسبابها فالنظم يعم
كله من قوة جميع الاسباب المحصلة للاتصاف
بها ظاهرة كانت او خفية مما سبق معرفة الاخبار
الالهي والتعريف النبوي ومن الادلة جميع ما اسلفنا
ذكره من الامور النظامية وغيرها والمراكب
البرية والبحرية والحصون والخنادق والاسلحة والادوية

الرخيا والخيل وذخاير المال والأكل والشرب وغير
ذلك مما تدعوا حاجة الأرهاب اليه واما الثالث
فاقامة الشرع بامتثال أمره والوقوف عند حده
وبالخصوص اقامة حدوده واجتناب ولاة انفكاكه
وانصاف الظالم من المظلوم والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر والشفقة على الضعفاء وجبر قلوبهم بالمبرة
والاحسان قولا وفعلا والانفاق من مال الله المحصل
من وجوهه الشرعية أو مال محصل بكسب طيب
والاقبال الله بالتوكل عليه والتبري عن الحول
والقوة والتوبة والاستغفار من الذنوب وملازمة
التقوى والطاعة قال الاستاذ القشيري واقويا
قوة القلب بالله والناس فيها مختلفون فواحد
يقوى قلبه بموعد نصره وآخر يقوى قلبه بحفظه
بانه مشهود من ربه قال الله تعالى فاصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وآخر يقوى قلبه بايثار رضاء الله

على مراد نفسه وآخر يقوى قلبه برضاه بما يفعله مولاه
قال ويقال أقوى جنة العبد تبريه عن حوله وقوته
انتهى وجاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا
ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي
قال الامام ابو حفص النسفي في تفسيره وهو لا ينفي
غيره لكن من جليل ما يعد لذلك انتهى فالمراد منه
بيان جلالته والتحريض عليه لأن مظنة التفريط
والتقصير لما فيه من زيادة المؤونة وتوقف المقصود
منه على تقديم التدرب عليه وتحصيل ملكته قلت
ولنا ما حكى الماوردي في تفسيره عن اصحاب
انها السلاح وعن بعض انها التصافي واتفاق الكلمة
وعن آخر انها الثقة بالله ونسبه المولى الفناري
لأبي على الروباني انه جار على هذا اخبره او قسه

منه للخيل أو النبل على اندراج المذكور في عموم الآية
لا حصر معناها في خصوصه وقوله تعالى ومن رباط
الخيل أي حبسها واقتناؤها للغزو كما يشهد له ما روى
البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله
إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله
في ميزانه يوم القيامة فإن صيغة احتبس للاتخاذ ومعناه
اتخذ الشيء لنفسه واقتناؤه في الخصوص إن أريد بالخيل
ما يعم ذكورها وإناثها فهو تخصيص بعد تعميم
اهتماما بشأنها متضمنا للحث على اقتنائها وإعدادها
لهذا الجهاد العظيم وعن عكرمة أنه الإناث خاصة قلت
وعليه فالمراد من تخصيصها تحريضا للتناسل قوله ترهبون
أي تخوفون والضمير للإعداد أو لما استطعتم والجملة
قيل في محل نصب حال من فاعل أعدوا أي حال كونكم
مرهبين به أو من ما أو من عائدها المحذوف أي أعدوا

ما استطعتموه

ما استطعتموه حال كونه مرهبا به وعلى هذا أبو البقاء
ومن تبعه كالمولى أبي السعود قلت وفيه أن الحال
قيد في عاملها وتقييد وجوب الإعداد بحالة قصد الإرهاب
أو ترتيبه على الإعداد غير لائق بحكم الشيء فإن وجوبه
في حالة المقصود من الإرهاب آكد منه عند ظن حصوله
ولا حسن حملا لأن من قضية إبلاء العذر في فوات
الأعداء وتقييد المستطاع بما كان مرهبا به يخل
بكمال الاستعداد اللائق بترتب الحرب حتى حكى الإمام
الطرطوشي في سراجه عن بعض الصحابة رضي الله
عنهم أنه كان إذا أراد العدو لا يقص أظفاره
ويرى أنها عدة ويراها قوة انتهى فالأليق أنه استئناف
بيان لعلة الأمر كما أشار إليه في كشف الحقائق
فإن قلت إذا كان الأمر معلولا بالإرهاب
يدور مع العلة ينتفي بانتفائها ويأتي المحذور الأول
قلت لا نسلم لأنه إنما يلزم ذلك أن لو كان علة

الحكم الذي هو الوجوب الثابت بالأمر اما اذا كان علة
توجه الخطاب بالأمر بمعنى انه وجه الحكمة في شرعيته
فقد عرف من أصل الشرع انه لا يدور معها كما في الرمل
في الطواف على ما بان في كتب الفقه والأصول
وقيل أهل مكة قيل أعداء الله بالكفر وأعداؤكم
بالمباينة كقطاع الطريق والبغاة وقوله وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم أي وترهبون
أعداء آخرين سوى هؤلاء لا علم لكم بأنهم أعداء
وانما يعلم ذلك الله سبحانه والأظهر أن المراد بهم
كل من يبطن عداوة أهل الإسلام من المنافقين
وأهل الذمة والعهد وانهم اذا رأوا كمال تيقظ
المؤمنين واستعدادهم دخلتهم الرهبة واليأس من
ترقب الدوائر فلم يباطنوا أهل الحرب بمكيدة المسلمين
ولا بقصدهم بها واستفاد جملة الله يعلمهم للإشارة
الى انهم قد يبلغون في مباطنة العداوة واخفائها الحد

الذي

الذي لا يقف عليه الا الله تعالى مبالغة في التحذير وتحريضا
على الأخذ بالحزم والتحرز من التفريط والغفلة وعدم
الاغترار بما يظهرونه من الأمن وتودد الأعداء لا سيما
الكفرة فانه قد قيل كل العداوة قد ترجى مودتها
الا عداوة من عاداك في الدين * ولا بتذلل أهل
الذمة فانه كما قيل ذلها أظهر للذليل مخافة وفي
القلوب منها تكمن العوادي * ولا باقبال الأيام ومساعدة
الوقت فانه كما قيل * أحسنت ظنك بالأيام
اذ أحسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر * وسالمتك
الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث
الكدر * ولا باعتقاد خلو البلاد من الأعداء فان الأمر
كما قال بعض العارفين * كل موجود لا بد له من حسود
وصديق بل هذه حالة سارية في الحق والخلق قال تعالى
لا تتخذوا عدوي وعدوكم فهم عبيده وهم أعداؤه
فكيف حال العبيد بعضهم مع بعض انتهى فما من فرد الا

وما تنفقوا شرطية والجملة في محل نصب حال من
الضمير المستكن في تحبون اهـ والحال مع ما ذكر
من المقاصد الدينية والدنيوية انكم ما تنفقوا من
شيء اي مال وعمل في سبيل الله اي في اسباب القربة
التي هي في سبيل اي طريق لطاعته او في طاعة الله
على الاطلاق يوف اليكم اي يوفيكم اجره في الآخرة
وتعطونه كاملا موفرا وانتم لا تظلمون اي
لا يظلمكم احد بحرمان الاجر او بنقص شيء منه
لأن ايفاؤه على رب كريم منزه عن الظلم
لا شريك له في ملكه فان قلت الظلم غير متصور
منه تعالى اذ الاعمال غير موجبة للثواب وانما هو
محض فضل منه تعالى فالمعنى تنزيهه نفسه عنه
قلت هو مستحيل لخلف الوعد لأن الموعود واجب
بالنظر الى الوعد لاستحالة الخلف في حقه تعالى ◦
فضلا المشابهة جميعا في الوجوب وان تخلف سببه

فان قلت استحالة خلف وعده تعالى من ضروريات
الدين فما فائدة التذييل بذكره في هذا المقام بخصوص
قلت هي تأكيد الوعد المشير اشارة الى ان مفاصلته
تعالى في هذا الموطن على خلافها في غيره ففيه ايماء الى
تكملة للمنفق بمغفرة الذنوب وضمانه له حسن الختام
وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى
فيما روى الامام احمد عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله
عنه قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم
بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره
فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين فان فيه دلالة
ظاهرة ان بذل الوسع في الانفاق عدة في سبيل الله
من الاسباب الموجبة لحسن الخاتمة ومغفرة الذنب
اي الاصل في الاحكام الشرعية ان تتم ولا تنفسخ
بقي من المباحث الشريفة المتعلقة بهذه الآية الكريمة

أن القاعدة المقررة لأئمة النحو وجمهور الفقهاء وعليها
أيمتنا الثلاثة كما بين في شروح الجامع الخلاطي أن مقابلة
الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد وقد قوبل
في الخطاب الشريف بين ضميرين جمع ضمير أعدوا العائد إلى
المؤمنين وضميرهم العائد على الكفار فيفيد ذلك بمقتضى
تعليل شرعية الحكم بالإرهاب أن الواجب على كل فرد
من أفراد المخاطبين أن يهيئ من أسباب القوة ثم يدوم عليها
أقصى ما يمكنه مما يحصل به الإرهاب قرنه ومثيله بتقدير
المقابلة أو علمه باستعداده له وأن لا يسقط الواجب عنه
عند الإمكان إلا بكمال الاستعداد اللائق بحاله ومرتبته
إلى أن يحصل الإرهاب باستعداد من تحقق باستعدادهم
الإرهاب وغيره من تقوم به الكفاية فإن الإرهاب
من مقاصد الجهاد فتسقط فريضته عن الباقين إذا قام به
من تحصل بهم الكفاية كالجهاد وأن أمر ذلك يختلف
بحسب استعداد الأعداء قوة وضعفا وبحسب ما بأيديهم من

آلات الحرب وأدواته وأنهم إذا ابتدعوا من أدوات
الحرب وصنائعه أمرا له موقع لا تؤمن استطالتهم به
علينا لزمنا بذل الوسع في تعلمه وإعداده مثلهم والاجتهاد
في تفوقنا عليهم فيه وأنه إذا لم يمكن استعلام ذلك الا بعد
تعلمهم فيجب استعلامه منهم لأنه مستطاع لنا وأنهم
إذا أعدوا لنا صواعق البارود فأعددنا لهم القسي
والمنجنيق الذي صار اليوم كالشريعة المنسوخة وقصرنا
على السيوف والمنجنيقات وشرعوا لنا الثبات
فأعددنا لطلائعهم الثياب المجردة والأحكام المطلقة
والعمائم الكبيرة لم نخرج عن عهدة الأمر ولزمنا
الإثم والعار فالغرض الشارع مطلقا ولا سبيل
إلى التخلف منه سلفا فأفادتنا الآية الكريمة بمقابلة
ضمنين أحكام جزئيات نقطعهم بأسرها وأنها واجبة
إن توقف عليها الانتصار والدفع ومستحبة إن كانت
مكملة له إذ ما ليس كذلك للوطيس فلا أقل من كونه

مستقبلا كما هو معروف من قواعد الشرع فلنقف هنا وقفة
الاعتبار لنتحقق إعجاز القرآن العظيم وأنه تعالى ما فرط
في الكتاب من شيء وكل ما ذكرنا من أسباب القوة
فله شواهد أخرى من الكتاب والسنة نرتب المقصد
على فصول ليسهل الفهم من ذلك الفصل الأول
في اتخاذ الجند وتجنيده الجند لغة الجمع من الأعوان
والأنصار المعد للحرب وتجنيدهم جمعهم يقال
جند مجند أي مجموع بالفعل والمراد جمعهم لحماية أهل
الإسلام وجهاد الكفار في ديارهم وهو معروف
من سيرته صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه
وسلم منذ عقد البيعة مع الأنصار ليلة العقبة قبل
هجرته إلى المدينة فيما ذكر أهل السير من قصة هذه
الليلة قوله صلى الله عليه للأنصار الذين عقدوا
معه البيعة على هجرته إليهم أبايعكم على أن تمنعوني مما
تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك

وقد روى أبو داود في سننه عن أبي أيوب الأنصاري
رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ستفتح عليكم الأمصار وستكون جنود مجندة
يقطع عليكم فيها بعوثا فيكره الرجل منكم البعث فيها
فيتخلص من قومه ثم يتصفح القبائل يعرض نفسه عليهم
يقول من أكفيه بعث كذا من أكفيه بعث كذا ألا وذلك
الأجير إلى آخر قطرة من دمه ففيه إخباره صلى الله عليه
وسلم بأن ممالك الإسلام ستتسع وتنتشر أطرافه وأنه
سيدعو الحاجة إلى اتخاذ جنود مجندة من طوائف شتى
وهذا منه إخبار بمعنى الأمر فيفيد وجوب ذلك على
الإسلام حراسة لثغور الإسلام وقوله يقطع بالبناء
للفاعل أي يفرض ويعين عليكم الإمام فيها أي في ثغورها
أو منها بعوثا أي جيوشا مبعوثا تسمية للمفعول باسم المصدر
والمراد مطلوبا بعثهم ففيه مجاز على مجاز وقوله فيكره
أي يتكلف إظهار الكراهية بما يبديه من الأعذار ويقصد

التحمل على أخذ الأجر وقوله فذلكم الأجير أي لا الغازي
في سبيل الله الذي جاء في فضله ما جاء كالذي روى
البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة
خير من الدنيا وما فيها والذي رواه عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد
في سبيل الله كمثل الصائم القائم بآيات الله لا يفتر
من صيام ولا صلاة حتى يرجع والذي رواه البخاري عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله لا تمسه النار
وقوله الى آخر قطرة من دمه تنصيص على استحقاق الحرمان
عليه قاتل أم لم يقاتل مؤذن بحرمانه من الثواب الموعود
للشهداء كالمغفرة المرتبة على أول دفعة من دمه فإنه
قد روى أحمد والترمذي وابن ماجة عن المقدام بن معدي
كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للشهيد

عند الله سبع خصال يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى
مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ويزوج اثنتين
وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر
ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج
الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين
إنسانا من أهل بيته وروى الطبراني عن أبي امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أول قطرة تقطر
من دم الشهيد تكفر بها ذنوبه والثانية يكسى حلل من
حلل الإيمان والثالثة يزوج من الحور العين
فإن هذا الفضل مخصوص بمن كان باعث غزوه
وجهاده أمرا مشروعا لتطبيق الأوامر التي جاءت به كقوله
في سبيل أي سبيل شرعه من واجب وغيره حتى المباح
لأن سبيل الله شامل لجميع الأحكام التي من جملتها الإباحة
والجهاد ما شرع لمجرد الكسب بلا قصد لإعلاء كلمة الله
فإنه قد روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

والنسائي عن أبي موسى رضي الله عنه قال جاء رجل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل
يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله
قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
ورواه أبو داود بلفظ ان الرجل يقاتل للذكر ويقاتل
ليحمد ويقاتل ليغنم ويقاتل ليرى مكانه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قاتل حتى تكون كلمة الله
هي أعلى فهو في سبيل الله وروى أيضا عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل
الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا اجر له ثلاث مرات وروى أيضا
عن عبد الله بن عمرو أنه قال يا رسول الله اخبرني عن
الجهاد والغزو فقال يا عبد الله بن عمرو ان قاتلت صابرا
محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا وان قاتلت مرائيا مكاثرا
بعثك الله مرائيا مكاثرا يا عبد الله بن عمرو على أي

حال

حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحالة فسر
في الأول سبيل الله بأن يكون قتاله لإعلاء كلمة الله
فانتفى غيره أن يكون مرادا ونص في الأخيرين على
حرمان الأجر والبعث على تلك الحال في معرض الذم
فاقتضيا نفي المشروعية هذا الأخير قد دلت حال تحمله
وتصفحه الموضوع لتحصيل الأجرة أن قصده كان مجردا
لها وأنه ما شرع له القتال والغزو بهذه النية فاستوجب
الحرمان فان قلت وقد قتل مظلوما فينبغي ان ينال فضل
شهادة المقتولين ظلما قلت قد نحى بعض إلى ذلك لكن
ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة
لا اجر له ظاهر في عموم ما له لأن النكرة في سياق النفي
تعم والمعنى يساعده فان عرض نفسه للقتل بلا نية
تسوغ له ذلك فكان ملقيا بنفسه الى التهلكة لمجرد
الدنيا هذا اذا لم تتجرد له نية لإعلاء كلمة الله ۞
والا نال فضل الشهادة لأن الأعمال بالخواتيم فان قلت

فمن كان باعثه مجموع قصد اعلاء كلمة الله والغرض
الدنيوي هل ينال فضل الشهادة قلت من السلف من اطلق
نفي اعتبار النية المشوبة ورآها منافية للاخلاص
المطلوب والحديث يشير كلام الزندويسي من مشايخنا
اذ قال في روضته والشهيد هو الذي يخرج الى
المقاتلة مع الكفار ولا يخرج الا لله تعالى ومنهم
من اعتبر الباعث الاقوى والغى الاضعف ومنهم
الامام الغزالي في الاحياء واليه ذهب صاحب الهداية
من مشايخنا اذ ذكر في تجنيسه الغزو اذا سعى يوم
الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة واقامة حوائج له
في المصر ومعظم مقصوده اقامة الجمعة ينال ثواب
السعي الى الجمعة وان كان معظم مقصوده اقامة الحوائج
لا ينال ثواب السعي انتهى قلت والذي تفيده الاخبار
ان ما عدا الرياء من مرغوبات النفس لا يوجب بطلان
نية قربة قارنته سواء توقف اثرها ام لا وسواء استقل

باعثا

باعثا ام لا وسواء كان المرغوب طاعة او معصية
فانه قد روى البخاري ومسلم عن ام سلمة رضي الله
عنها قالت قلت يا رسول الله هل لي اجر في بني ابي
سلمة انفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا
انما هم بني فقال نعم لك فيهم اجر ما انفقت عليهم
وروى احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلين
اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى
الله عليه وسلم المدعي البينة فلم تكن له بينة فاستحلف
المطلوب فحلف بالله الذي لا اله الا هو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك قد فعلت ولكن غفر لك ٭
باخلاص قول لا اله الا الله اي غفر لك اثم الحلف
كاذبا فان فيها دلالة لاعتبار نية القربة المقارنة لمرغوب
النفس مع ضعف اثرها وفي الثاني دلالة على اعتبارها
وان لم تستقل باعثا او كان المقارن لها معصية فان
قوله ما انفقت عن قصد الاخلاص بل عن معصية فيه

قطعا وحق ثابت لغيره كما هو ظاهر و هذا الذي يقتضيه
قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم
نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
واليه يشير كلام الامام ابي حنيفة رضي الله عنه
في كتاب العالم والمتعلم الذي رواه عنه ابو مطيع البلخي
اذ قال فيه ان الحسنات لا يهدمها ذنب استثنى لا ذنبا
كالوا ثم استثنى ما اخرجته النصوص فقال اما الحسنات
فانه لا يهدمها شيء غير ثلاث خصال احدها الواحدة
فالشرك بالله تعالى لان الله تعالى قال ومن يكفر بالله
فقد حبط عمله والاخرى ان يعمل الانسان يبتغي نسكا
او يصل رحما او يتصدق بماله يريد بهذا كله وجه الله
ثم اذا غضب او قال في غير الغضب امتنانا على من صنعه
الذي كان المعروف منه اليه انا اعتق رقبتك او يقول
لمن وصله الم اصلك و في اشباه هذا يضرب به على اسم

قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والثالثة ما كان
من عمل يرائي به الناس لا يتقبله الله منه فما كان سوى
هذه السيئات فانه لا يهدم الحسنات انتهى فان كلامه
رضي الله عنه ظاهر في شمول المعصية المقارنة وغيرها
وما قيل وجعل من اعمال البر فالحق اطلاقه اعتبارية القربة
المقرونة بقصد المرغوب وترتب الاثابة عليها وان ضعف
اثرها لما بينا وان تفاوت الثواب بحسب النيات على
ما اقول في المقاتل المتقدم بخصوصه انه حيث قصد
بحكم الشرع بان قصد اليه رغبة في اباحته بحيث لولاها
لما اقدم على القتال ونوى ان يعمل فيما يحصله منه بمقتضى
الشرع كان ذلك منه نية صحيحة لجهاده محصلة
لفضل الشهادة لانه قد قصد الى قهرهم وان استيلاء
على ما بايديهم باذن النبي واعلاء كلمة الله لازم له
ثم الحديث المشروح معرض الذم الارادة الغزو وانما
غير مشروعة اما ان تجرد القصد لها فلما ذكرنا من عدم

مشروعية القتال بهذه النية فكانت في معنى الاجارة
على المعاصي واما ان قصد بها اعلاء كلمة الله فالان
القتال بهذه النية قربة وانه عمل غير معلوم لا تنضبطه
عادة فلا تجوز الاجارة عليه لا على مذهب الاقدمين
من مشايخنا المانعين جواز الاجارة على الطاعات ولا
على مذهب المتأخرين المجوزين لذلك لمكان الجهالة ه
وليس من قبيلها الجعل وهو ان يدفع للغازي مالا يستعين
به من غير استنابة حتى لو قال خذ هذا المال لتغزو به
عني فهو استئجار كما في الذخيرة قال في المبسوط وان
اراد قوم من المسلمين ان يغزوا اهل الحرب ولم يكن لهم قوة
ولا مال فلا بأس بان يجهز بعضهم بعضا ويجعل القاعد
للشاخص وان كانت عندهم قوة او عند الامام كرهت
ذلك انتهى والاصل فيه قوله تعالى وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله تعالى

وتعاونوا

وتعاونوا على البر والتقوى وقد روى ابو داود عن عبد
الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للغازي اجره وللجاعل اجره واجر الغازي وروى
البخاري ومسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن
خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا وروى ابن ماجه
عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جهز
غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع
هذه الاخبار وان جاءت مطلقة لكن الظاهر انها انما
خرجت مخرج الترغيب في الاعانة لمكان الحاجة المعروفة
في زمنه صلى الله عليه وسلم فلذا قلنا باختصاص جوازه
بحال الضرورة وفصل ذلك في الذخيرة فقال من
كان قادرا على الجهاد بنفسه وماله فعليه ان يجاهد
بنفسه وماله قال الله تعالى وجاهدوا في الله حق
جهاده وحق الجهاد ان يجاهد بنفسه وماله قال الله

ولا ينبغي في هذه الحالة ان يأخذ من غيره جعلا ومن عجز
عن الخروج وله مال ينبغي ان يبعث من نفسه بماله ومن
قدر بنفسه ولا مال له فان كان في بيت المال مال يعطيه
الامام كفايته من بيت المال فان اعطاه كفايته لا ينبغي
ان يأخذ الجعل من غيره والاولى ان يأخذ الجعل من غيره انتهى
وقال الامام شمس الائمة السرخسي في شرح المبسوط اذا
كان في بيت المال مال معد لمثل هذه الحاجة فعليه
ان يصرف اليها ولا يحل له ان يأخذ من المسلمين شيئا
لاستغنائه عن ذلك بما في يده انتهى واذا دفع الرجل
الى غيره جعلا ليغزو به هل له ان يصرفه في غير الغزو
قال شمس الائمة السرخسي في مبسوطه هو على وجهين
ان قال هذا المال لك فاغز به او تغزو به فله ان يصرفه
الى ما يشاء لانه ملكه المال ثم اشار عليه بان يصرفه
الى الجهاد فان شاء قبل مشورته وان شاء لم يقبل وان
قال اغز بهذا المال فليس له ان يصرفه الى متاع بيته

ولكن يشتري به كراعا والسلاح وينفق على نفسه في طريق
الجهاد انتهى ونقل في الذخيرة عن شرح السير الكبير
ان للمدفوع اليه ان يترك بعض الجعل لنفقة عياله
على كل حال لانه لا يتهيأ له الخروج الا بهذا فكان
من اعمال الجهاد معنى انتهى قلت وهذا الاوجه عندي
لما روينا من قوله صلى الله عليه وسلم ومن خلف غازيا
في سبيل الله بخير فقد غزا اذ افاد ان الانفاق على عيال
الغازي جهاد معنى (الفصل الثالث في ترتيب الجند) ❊

وينبغي له تنزيل كل منهم في خصوص مرتبة تليق به
بحسب ما له من خصال الحرب ومعارفه والاصل فيه قوله
تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات اذ المراد بالعلم جنسه الشامل لكل علم شرعي
وكل علم له ثمرة تتعلق باقامة امر شرعي من العلوم
الشرعية والعلم بكيفية الحرب وعمله وتدبير امره والتصرف
حيله هذه المثابة اذ لا تكاد تتم اقامة الجهاد المفروض

الا به فالعالم به منفرد في عموم علماء الشرع ضارب
معهم بسهم فيما اختصوا به من الفضيلة ورعاية حق رتبته
فيما اختص به عن مشاركه فيما له من المعرفة لما ناله
وقد روى الخطيب في كتاب المتفق والمفترق عن عائشة
رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ننزل الناس منازلهم فرعاية حق الرتبة اصل عام من
أصول الشرع يجب اعتباره في كل موطن وان انضم
الى ذلك مشاركته في معرفة الأمور الدينية مع دين
وديانة وصلاح وحسن خلق وعفة وانصاف وشجاعة
وقدرة كان زيادة في علو مرتبته وعلو قدره بما له من
الخصوصيات والفضائل يكون الاختصاص بالتقديم
لا سيما في باب الولايات فانه قد روى احمد والحاكم
عن ابي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ولي من امر المسلمين شيئا فامر عليهم احدا محاباة
فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى

يدخله جهنم وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلا
من عصابة وفيهم من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله
والمؤمنين وروى ابو يعلى عن حذيفة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل استعمل رجلا
على عشرة انفس علم ان في العشرة افضل ممن استعمل فقد
غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين ولا يولي
امارة الجند الا على اعلمهم بالحرب وتدبيره واجمعهم
لخصال الكمال ان وجد والا فلا يعدل عن اعلمهم بالحرب
واسدهم رأيا واثبتهم قلبا بشهادة تجربته وامتحانه لا بمجرد
حسن الظن فانه لا مدخل له في باب الحرب لابتنائه على
الاخذ بالحزم لقوله تعالى خذوا حذركم وقد روى
ابو الشيخ في كتاب الثواب عن علي رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحزم سوء الظن لما
ذكرناه من تقديم الاعلم بالحرب تقديمه صلى الله

عليه وسلم عمرو بن العاص على جيش كان فيهم ابو بكر
وعمر فانه قد روى البيهقي عن ابي عثمان النهدي قال
سمعت عمرو بن العاص يقول بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جيش ذات السلاسل وفي القوم ابو بكر
وعمر فحدثت نفسي انه لم يبعثني على ابي بكر وعمر الا لمنزلة
لي عنده قال فاتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول
الله من احب اليك قال عائشة قلت اني لست اسالك
عن اهلك قال فابوها قلت ثم من قال عمر قلت ثم من
حتى عدد رهطا قال قلت في نفسي لا اعود اسالك عن
هذا انتهى وانما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ابي بكر وعمر لفضل معرفته بالحرب فقد ذكر
في السيرة الحلبية وغيرها انه منع الناس من ايقاد النار
في ليلة باردة فكلمه بعض سراة المهاجرين في ذلك
فغالظه عمرو في القول فقال له قد امرت ان تسمع لي
وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب

غضب

غضب وهم ان يأتيه فمنعه ابو بكر رضي الله عنهما وقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لمعرفته
بالحرب فسكت انتهى فدل ذلك ان فضل العلم بالحرب
هو المعتبر في بابه لكن هذا عند تحقق الاهلية لسياسة
الجند والمشاركة في الفضائل فاما من تقاعدت
مرتبته عن ذلك لقادم دينه او غيره كالمجهول فيستعان
برأيه ولا يولى فانه قد روى ابو عمر بن عبد البر في كتاب
الاستيعاب عن عبد الملك بن عمير قال كتب عمر الى
النعمان بن مقرن واستشر واستعن في حربك بطليحة
وعمرو بن معدي كرب ولا تولهما من الامر شيئا فان
كل صانع هو اعلم بصناعته انتهى والوجه في ذلك
انحطاط مرتبة طليحة بما ارتكبه بعد النبي صلى الله عليه
وسلم من الردة ودعوى النبوة الى ان قاتل خالد بن
الوليد في زمن ابي بكر رضي الله عنهما وقتل طليحة في حربه
ثابت بن اقرم وعكاشة بن محصن ثم اسلم وقتل الاعجميه

ثم قدم على أبي بكر مسلما وحسنت توبته لكن حط ذلك
من مرتبته ذكر أبو عمر في الاستيعاب أنه قدم على عمر رضي
الله عنه فقال له أنت قاتل الرجلين الصالحين قال لم يهني
الله بأيديهما وأكرمهما بيدي قال والله لا أحبك
أبدا قال فمعاملة جميلة يا أمير المؤمنين وأما عمرو فكان
معروفا بالتهور واقتحام المهالك ومما يؤثر عنه
من ذلك ما ذكر عبد القادر البغدادي في طبقات
الشعراء فقال روى أنه نزل على النهر يوم القادسية
وقال لأصحابه إني عابر على الجسر وقائم على العدو ف
فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي في يدي
أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وإن
أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم حمل على العجم فانغمس فيهم
فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد على ما تدعون صاحبكم والله
أنا لا نرى أن تدركوه حيا فانتهوا إليه وقد صرع
عن فرسه وقد أخذ برجل فرس من أفراس العجم فأمسكه وإن

الفارس ليضربه فما يقدر الفارس أن يتحرك قالوا فلما
غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى سبيله وفرسها فأخلى فرسه
فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني
قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني انتهى
والمتهور لا يصلح لرياسة الجند إذ ربما غرر بهم فألقى
بهم إلى التهلكة وإنه خارج عن حد الشجاعة المطلوبة
فإنهم قد عرفوها بأنها صفة حاصلة للقوة الغضبية
بين التهور والجبن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها
كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على المسلمين كما في تعريفات
السيد ثم بعد هذه المرتبة ينزل كل واحد من آحاد الجند
في مرتبته التي تليق به على حسب ما له من الفضيلة والغنا
فينبغي أن يراعى ذلك في تدوين الدواوين وتوفير العطايا
فإنه المعروف من سيرة عمر رضي الله عنه روى ابن سعد
عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
استشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي بن أبي طالب

تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه
شيئا وقال عثمان بن عفان أرى مالا كثيرا يسع الناس
وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن
ينتشر الأمر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير
المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا
ديوانا وجندوا جنودا فأخذ بقوله فدعى عقيل بن أبي
طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من
نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا
فبدءوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه
على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال وددت والله أنه
هكذا ولكن ابدأوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم
الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله
وروى أيضا أبو عبيد في كتاب الأموال وابن عبد الحكم
عن يزيد بن أبي حبيب عمن أدرك ذلك قال كتب
عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص انظر من كان قبلك

ممن

من بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فأتم
لهم العطاء مائتي دينار وأتمها لنفسك لإمرتك وأتمها
لخارجة بن حذافة لشجاعته ولعثمان بن أبي العاص
لضيافته في الثنية كان أبو بكر رضي الله عنه
يسوي في العطاء من بيت المال وكان عمر رضي الله عنه
يعطيهم على قدر الحاجة والفقه والفضل ثم الأخذ
بما فعل عمر رضي الله عنه في زماننا أحسن لمذاهب الأئمة
الثلاثة انتهى (الفصل الثالث في تصنيف الجند) وهو
جعلهم أصنافا متعددة كل صنف على حدته وهو
أمر معروف من سيرته صلى الله عليه وسلم في حروبه
ففي سيرة ابن سيد الناس عن ابن سعد في الحديث عن
غزوة بدر كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير
ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد
بن معاذ انتهى وفي سيرة ابن إسحاق في الحديث عن غزوة
أحد وعقد يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية

لواء للأوس بيد أسيد بن الحضير ولواء للمهاجرين بيد علي
بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد
الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفيها أيضا
في الحديث عن غزوة الفتح وإسلام أبي سفيان بن حرب ثم
أمرني النبي صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا
سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر جنود الله
فيراها ففعل فمرت القبائل على راياتها كلما مرت
قبيلة قال يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول ما لي
ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء
فيقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل
ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها فأخبرته فيقول ما لي ولبني
فلان حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته
الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا
الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء
قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين

والأنصار

والأنصار فقال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة انتهى
المقصود منه ووقع في صحيح الأخبار البخاري أن كتيبة
الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة ومعه الراية قال ولم
ير مثلها ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب فيهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال ابن سيد الناس
كذا وقع عند جميع الرواة ورواه الحميدي في كتابه هي
أجل الكتائب وهو الأظهر انتهى ففي هذه الأخبار أن
جند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صنافا
مصنفة كل قبيلة على حدتها متميزة عن غيرها
وهذا مما يقتضيه حسن السياسة في تدبير أمر الجند
تحرزا من الاختلاف وافتراق الكلمة لما في خلط الفرق
المختلفة من تعريضهم لثوران الفتنة بينهم بسبب اختلاف
طباعهم وميل كل فريق لمن انتسب إليه بمقتضى الطبع
البشري فأفراد بعضهم عن بعض أدعى للألفة وحسن
العشرة لأن مبناها على اتحاد الطبع وتقاربه والاتحاد

الوطن والمال اثر عظيم في ذلك   قال ابن عمر
الناس كالارض ومنها هم ۞ من خشن الارض ومن لين ۞
وقال امرؤ القيس ۞ اجارتنا انا غريبان هاهنا ۞
وكل غريب للغريب نسيب ۞ ولانه ادعى للجد والاجتهاد
لما جبلت عليه النفوس من حب الانفراد بالمآثر واعتداد
كل احد بمآثره تنسب لقبيلته وانفته من معرة تنسب
اليهم او تخصه دونهم لانه اسرع للاجابة عند وقت
الحاجة وارهب للعدو عند كثرة الجمع وامكن من
التعاون وعبور المسالك الضيقة وتقدم المعروفين
بالشدة والباس وابعد من عموم الهزيمة وادعى للكر
بعد الفر وغير ذلك مما لا يخفى من حرب (الفصل الرابع
في ضبط عدد الجند) قال الله تعالى مخاطبا لنبيه صلى
الله عليه وسلم وحكاية لما ثبت به اصحابه رضي الله
عنهم في يوم بدر او احد على ما في ذلك من الخلاف
بين ائمة التفسير اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان

يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى
ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقال تعالى ان
يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم
مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم
لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين
وروى احمد وابو داود والترمذي وحسنه عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير
الجيوش اربعة آلاف ولا يهزم اثنا عشر الفا من قلة
وروى ابن نعيم عن اكثم بن الجون ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له يا اكثم لا يصحبك الا ثقات
ولا يأكل طعامك الا امين وخير السرايا اربعمائة

وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب قوم يبلغون
اثني عشر الفا وروى ابن ماجة عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاكثم بن جون
الخزاعي يا اكثم اغز مع غير قومك تحسن خلقك وتكرم
على رفقائك يا اكثم خير الرفقاء اربعة وخير الطلائع
اربعون وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة
آلاف ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة ففيهما تلويحا ورمزا
اشارة الى ان عدد الجيش ينبغي ان يكون معلوما محصورا
وانه من مقتضيات الاستعداد للحرب اذ لا يعلم الوفا
بحقه والخروج عن عهدة الامر الا به وفيما روينا
في ذلك اشارة الى مزيد خصوصية هذه الاعداد
المعينة وان الله تعالى فيها سرا اطلع عليه نبيه صلى الله
عليه وسلم فانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى فينبغي المحافظة عليها باستيفاء عددها في صنف
لكل من الجيش الاعظم وما دونه والسرية وهي القطعة

من الجيش تخرج منه لاجل الاغارة على الاعداء وترجع
اليه سميت بذلك لانها تسري في الليل وتخفي ذهابها
والطليعة وهي القطعة منه تبعث للاطلاع على امر
العدو والعدد الممدوح له على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستدل بالآية الاخيرة على وجوب مصابرة
العدو اذا كان ضعف المسلمين وانه لا يحل الفرار الا
اذا كان عدد المسلمين اقل من نصف عدد المشركين
وبالاخبار المذكورة على انه لا يجوز الفرار بجيش بلغ
اثني عشر الفا وان كان الكفار اضعافهم وعليه الجمهور
تخصيصا للآية الكريمة بها ومن مشايخنا من قيد ذلك
بالطاقة واتفاق الكلمة فاجاز الفرار عند فقد الجنس
وهو اختيار خواهر زاده واليه اشار محمد رحمه الله
في السير الكبير اذ ذكر فيه انه رخص الفرار من
الزحف اذا كانوا لا يطيقون قلت وفي التاتارخانية
اذا التجأ الى بعض جيوش المسلمين لم يكن فارا من الزحف

نهى لأنه مستثنى بقوله تعالى إلا متحرفا لقتال أو متحيزا
إلى فئة (الفصل الخامس في تعديد قواد الجند وعرفائه
قواد الجيش) جمع قائد الرئيس من رؤسائه الذين تنقاد
له الجماعة منهم يندفعون لتقدمه ويتأخرون لتأخره
وهو أمير اللواء وعرفائه جمع عريف بمعنى النقيب
وهو شاهد القوم وضمينهم من دون الرئيس من
كبرائهم كالمقدمين على المئين والعشرات في النظام
المحدث وقد مر لنا في الفصل الثالث تعديد صلى
الله عليه وسلم ألوية جنده وتقدم من بيان أنه صلى
الله عليه وسلم ومن عادات الناس أن الألوية والرايات
لا يحملها ويتكفل بها إلا المقدم على القوم فهو أمر يغني
عن إطالة القول فيه وأما العرفاء ففي صحيح البخاري
عن عروة بن الزبير أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن
مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم فقال لهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم معي من ترون وأحب الحديث
إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال
وإما السبي قالوا فإنا نختار سبينا فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله
ثم قال فأما بعد فإن إخوانكم قد جاؤنا تائبين وإني
قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك
فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه
إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس قد
طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن
لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم
فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد أذنوا وطيبوا
انتهى وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم بالجعرانة
متقفله من غزوة حنين كما ذكره أرباب السير في هذا

الحديث انه جند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
فيه عرفاء يعرفونه بامر الناس ويتعلم احوالهم
من قبلهم وجاء في حديثه صلى الله عليه وسلم ان العرافة
حق الى امر ثابت شرعا لا سبيل لانكاره وان العريف
لا بد منه لكن مع وعيد شديد محمول على خصوص
من يقوم بحق وظيفته من حسن رعايته لمن هو متولى
عليهم والنصح لهم باقامة حكم الله فيهم وانصافهم
والانتصاف منهم وكفهم عن الظلم فروى ابو داود
عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار
وروى ابو نعيم في المعرفة عن جعدة بن زياد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا بد من العريف والعريف
في النار وجاء نحو هذا الوعيد فيمن ولي امر عشرة
فما فوق فروى الامام احمد عن ابي امامة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يلي امر عشرة

فما فوق ذلك الا اتى الله مغلولا يده الى عنقه فكه بره
او اوبقه اثمه وروى ابن منده وابو نعيم عن الحارث
بن محمد عن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من ولي عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا
معذبا او مغفورا له وروى الطبراني عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير يؤمر
على عشرة الا سئل عنهم يوم القيامة (الفصل الرابع
في تسويم الجند) قال الله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها مولانا
الجد الاكبر حسين بن محمد رحمه الله في تفسيره
السومة وهي العلامة تكون على الشاة وغيرها
يجعل عليها لون يخالف لونها لتعرف بفتح الواو معلمين
وبكسرها معلمين قال روي ان الملائكة كانت بعمائم بيض
الا جبريل فبعمامة صفراء كالزبير قال ابن اسحاق

والزجاج وقيل بعمائم صفر كالزبير قال عروة
وعبد الله بن الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن
الزبير والكلبي ونزلت مرخاة على اكتافهم وقيل
كانت خيلهم مجزوزة النواصي والاذناب معلمتها
بالصوف والعهن قاله مجاهد انتهى وقال الامام
البغوي في تفسيره روي انه نزل جبريل في خمسمائة
وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق
عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض وقد ارخوا
اطرافها بين اكتافهم قال وقال عبد الله بن عباس
كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم
حنين عمائم خضر انتهى وحكى الامام السيوطي في فتاويه
عن ابن عباس ايضا انها كانت عمائم سود انتهى
وروى البخاري ومسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي
الله عنه قال رأيت على يمين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض

يقاتلان

يقاتلان اشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل
وميكائيل عليهما السلام قال مولانا الجد الاكبر
رحمه الله في الاية دليل على جواز اتخاذ الاية العلامة
للقبائل والكتائب ليتبين كل قبيلة وكتيبة عند
الحرب انتهى قلت بل قد روى ابن جرير في تفسيره
قال حدثني يعقوب انا ابن علية انا ابن عون عن
عمير بن اسحاق قال ان اول ما كان الصوف ليومئذ
يعني يوم بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسوموا فان الملائكة قد تسومت ففي
هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم امر به اصحابه
فلا اقل من استحبابه وروى الطبراني عن خالد بن
سليمان بن عبد الله بن خالد بن سليمان بن خرشة
عن ابيه عن جده ان ابا دجانة يوم احد اعلم بعصابة
حمراء فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يختال في مشيه بين الصفين فقال انها مشية

يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع وما يلحق
بالتميم الشعار قال في الفتاوى الظهيرية
ينبغي ان يتخذ لكل قوم شعارا حتى اذا ضل رجل عن
رايته نادى بشعاره وليس ذلك بواجب والشعار
العلامة والمناد الى امام المسلمين الا انه ينبغي
ان يختار كلمة دالة على ظفرهم بالعدو بطريق
التفاؤل انتهى قلت روى ابو داود والترمذي
عن المهلب بن ابي صفرة قال اخبرني من سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتم فليكن شعاركم
حم لا ينصرون قال الامام الخطابي في معالم
السنن بلغني عن ابن كيسان النحوي انه سال
ابا العباس احمد بن يحيى عنه فقال معناه الخبر ولو
كان معناه الدعا لكان مجزوما اي لا ينصروا
وانما هو اخبار كانه قال والله لا ينصرون
وقد روي عن ابن عباس انه قال حم اسم من اسما

الله

الله عز وجل فكانه حلف بالله لا ينصرون قلت
اي فهو قسم اريد به المبالغة في ترجي الاجابة حتى
كانها وقعت فهو خبر عنها لحكاية قولنا رحمه الله
واشباهه وروى ابو داود عن سمرة بن جندب
قال كان شعار المهاجرين عبد الله وشعار الانصار
عبد الرحمن وروى ايضا عن سلمة قال غزونا مع
ابي بكر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
شعارنا امت امت (الفصل السابع في تضييق ملابس
الجند وتقصيرها) ترجم البخاري في صحيحه فقال
باب الجبة في السفر والحرب ثم روى باسناده عن
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال انطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل فلقيته
بماء فتوضا وعليه جبة شامية فمضمض واستنشق
وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه وكانا
ضيقين فاخرجهما من تحت فغسلهما ومسح براسه وعلى

خفيه وروى البخاري أيضا في ابواب غزوة تبوك
عن مغيرة بن شعبة قال ذهب النبي صلى الله عليه
وسلم لبعض حاجته فقمت اسكب عليه الماء لا اعلمه
الا انه قال في غزوة تبوك فغسل وجهه وذهب
يغسل ذراعيه فضاق عليه كم الجبة فاخرجهما من
تحت جبته فغسلهما ثم مسح على خفيه وروى مسلم
عن المغيرة بن شعبة قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم في سفر فقال يا مغيرة خذ الاداوة فاخذتها
ثم خرجت معه وعليه جبة شامية ضيقة الكمين
فذهب يخرج يده من كمها فضاقت فاخرج يده
من اسفلها فصببت عليه فتوضأ وضوءه للصلاة
ثم مسح على خفيه ثم صلى وروى البخاري ومسلم
وابو داود والنسائي عن المغيرة قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال لي
أمعك ماء قلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى

في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل
وجهه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج
ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه
ومسح راسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما
فاني ادخلتهما طاهرتين ومسح عليهما وروى
البغوي في صحاح المصابيح عن المغيرة بن شعبة ان
النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة
الكمين وتبوك بفتح فضم موضع في طرف الشام
بينه وبين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحو اربع
عشر مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشر مرحلة كما ذكره
النووي في تهذيب الاسماء فدل هذا الحديث الشريف
بمجموع رواياته انه صلى الله عليه وسلم لبس في هذه
الغزوة التي قصدها ناحية الشام وحرب الروم
لما بلغه انهم جمعوا لحربه اربعين الفا كما ذكره ارباب
السير جبة صوف من جنس ثيابهم كانت ضيقة الكمين

جدًّا بحيث ضاقت عن اخراج كميه يديه الكريمتين
منها فاستفيد منه استحباب لبس الثياب المضيقة
في السفر والغزو كما أشار اليه البخاري بالترجمة
التي حكيناها عنه ونبه عليه بعض شراحه لانها امكن
من خفة الحركة وسهولة الركوب والنزول وابعد
من الاشتغال بها عند مجالدة الاعداء فانه موطن
احق بقول من قال البس من الثياب ما يخدمك ولا
يستخدمك وأمن من تعلق العدو بها عند مصارعته
وكانت غزوة تبوك في حر شديد كما في صحيح البخاري
وغيره والثياب الضيقة لا تناسبه لانه يقوى معها
اثر الحر فلا يتجه احتمال قصده صلى الله عليه وسلم
التدفي بها نعم يقوى احتمال كونه قصد المكيدة بها
حتى لا يعرف ويظن العدو انه بعض عمال الروم المرسلين
لهم لكن لا اقل من ان يثبت جواز لبس ثياب الكفار
بقصد مكيدتهم فان هذه الجبة كانت من ثيابهم وهم يومئذ

يومئذ اهل حربه صلى الله عليه وسلم فيفيد تخصيص
الخبر الذي رواه احمد وابو داود عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو
منهم وبعين حمله على خصوص من جرد قصده للتشبه
بهم فيخرج عن عمومه من كان له فيه غرض صحيح
من مصلحة دينية او دنيوية فكان الصحيح في مسئلة
من لبس قلنسوة المجوس لدفع البرد او لان البقرة لا
تعطيه اللبن الا بها او تزيا بزي الكفار لخديعة الحرب
قول من قال من مشايخنا انه لا بأس به وان صحح في المحيط
اكفاره فان مستند تصحيحه عموم خبر التشبه وقد علمت
ما فيه على انه خبر ضعفه ائمة الحديث كما نص به
السخاوي في المقاصد الحسنة وغيره فلا يصح متمسكا
للاكفار لو افاده واما تقصير الثياب فأفضل
لما روي فيما حكى البغوي عنه في تفسيره قوله تعالى
وثيابك فطهر قال فقصر لان تقصير الثياب

بطرها انتهى قال مولانا الجد الأكبر رحمه الله
في تفسيره وذلك أن المشركين يطولون ثيابهم
ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل
من الخيلاء والكبر والتحقير ما ليس في الثوب القصير فنهاه
عن تطويل الثوب وأمره بتقصيره لذلك وهو أول
ما أمر به من رفض العادات المذمومة انتهى وجاء
في جرها ما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال ما أسفل من الكعبين
من الإزار في النار وما روى البخاري ومسلم عن
ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة
وفي لفظ للبخاري عنه من جر ثوبه من مخيلة لم ينظر
الله إليه يوم القيامة وروى أبو داود والنسائي
وابن ماجة عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الإسبال في الإزار والقميص والعمامة

جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة
الخيلاء بضم أو كسر ففتح ومد الكبر والعجب والمخيلة
بفتح فكسر الكبر واستحقار الناس وروى أبو داود
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن إلى
نصف الساق ولا حرج ولا جناح فيما بينه وبين
الكعبين ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار ومن
جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه الإزرة بالكسر الحالة
وهيئة الايتزار مثل الركبة والجلسة قال ابن الأثير
في نهايته قوله في النار قال الإمام الخطابي في معالم
السنن يتأول على وجهين أحدهما ما دون الكعبين
من قدم صاحبه في النار عقوبة له على فعله
والوجه الآخر أن يكون معناه أن صنيعه ذلك
وفعله الذي فعله في النار على معنى أنه معدود
محسوب من أفعال أهل النار انتهى قلت والأوجه

عندي أن اسم النار مستعمل في معنى المعصية إطلاقاً لاسم
المسبب على السبب لقصد المبالغة في كمال الارتباط
بينهما والمعنى ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي
معصية الله الموصلة إلى النار ففي هذا الخبر الكريم بيان
أن الأفضل أن يكون منتهى طول الثياب إلى نصف
الساق وأن الزيادة على ذلك إلى منتهى الكعب مرخص
فيها من غير تضييق ولا تأثيم وأن ما أسفل من الكعبين
غير مرخص فيه بل متوعد عليه بالنار فظاهره
إطلاق تحريمه وإن لم يقصد به الخيلاء لأن ما قيد
فيها لكن الإمام النووي في شرح مسلم حمله على
مخصوص من قصد الخيلاء للأخبار التي جاءت مقيدة
بذلك ونحى نحوه الإمام البركلي فقال في الطريقة
المحمدية وأما تطويل الثوب إلى ما تحت الكعب فإن
كان للكبر فمكروه تحريماً وإلا فتنزيهاً انتهى
قلت وفي ذلك نظر لأن المطلق إنما يحمل على المقيد

إذا لم يقم دليل إرادة الإطلاق وما نحن فيه مما قام
دليل إطلاقه فإن تطويل الثوب إلى ما تحت الكعب
نوع من الإسراف المحرم بنصوص الكتاب قد
روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم
يخالطه إسراف ولا مخيلة ورواه البخاري في صحيحه
تعليقاً قال وقال ابن عباس كل ما شئت والبس
ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة فتقييد
الإباحة في كل من الخبر والأثر يفيد أن كلا منهما
علة مستقلة للمنع فالصحيح إطلاق كراهته الكراهة
التحريمية لما ذكرنا وكذا الإفراط في توسيع الثوب
فإطالة الكمام لأنه إسراف وجاء في ضيق لباسه
صلى الله عليه وسلم برواية أبي داود والترمذي
عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت كان كم

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ وبرواية
ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير
اليدين والطول وبرواية الحاكم عنه انه صلى الله
عليه وسلم كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع
الأصابع وبرواية ابن عساكر عن عائشة رضي الله
عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس قميصا فوق
الكعبين مستوي الكمين بأطراف اصابعه قال الامام
السيوطي في زهر الخمائل وجمع بعضهم بين هذا وبين
الحديث الأول بأن هذا كان يلبسه في الحضر وذاك
في السفر قال ويؤيده ما أخرجه سعيد بن منصور
والبيهقي رضي الله عنه انه كان يلبس القميص ثم يمد
الكم حتى اذا بلغ الأصابع قطع ما فضل ويقول
لا فضل للكمين على الأصابع قال وأخرج البيهقي
عن علي رضي الله عنه انه ابتاع قميصا فجاء به الخياط

ثم لبس القميص وأمره ان يقطع ما خلف اصابعه ثم
قلت اشار رحمه الله الى انه صلى الله عليه وسلم
كان يراعي مقتضيات الأحوال وان اللائق بحال السفر
تقصير الثياب فتحمل رواية الأقصر على حال السفر
لأنه مستتبع لتقصيرها وروى الدمياطي وابن عساكر
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس
القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم
بغير قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهن
البيض المضربة ويلبس ذوات الآذان في الحرب
فدلت هذه الأخبار وما نقلنا من الآثار ان تقصير
الثياب حالة أمر فاضل فاضلة على الاطلاق
وان تطويل الذيل وتضييق الثياب بغاية ما يشتهيه
الحرب أمر مشروع لا وجه لاستكراهه بل الوجه
انه مستحب لأنه ابلغ في الاستعداد له فكان من
مكملات الواجب ومكمله لا اقل من استحبابه وندبه

مسند في مسنده عن عمر رضي الله عنه انه قال
وفروا اظفاركم في الحرب فانها سلاح ونص
مشايخنا ايضا على استحباب توفيرها وهو معلوم ان قصها
مرغب فيه معدود في خصال الفطرة ولا يأمر عمر
رضي الله عنه الا لما هو أهم منه فاذا جاز ترك
قصها المرغب فيه لتوهم الاحتياج اليها على ضعف
جدواه وعد من المستحبات فضيق الثياب اولى لعظم
منفعته مع انه لم يرد فيه نهي ولا ترغيب منه صلى
الله عليه وسلم فكيف مع ما روينا من خبر الجبة فان
قلت ظاهر خبر التشبه شمول التضييق لانه من
سيما الكفرة والاصل في تعارض الادلة تقديم المحرم
قلت محل ذلك ما اذا تعذر التوفيق وقد امكن ذلك
فيما نحن فيه بتخصيص خبر التشبه بالقاصد اليه كما
بيناه بل اقول ان القصد من مدلولات صيغته لما تقرر
في علم التصريف من ان صيغته تفعل للتكلف وان معناه

ان الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصله وان الفاعل يتحمل
نفسه ليطلب ان يكون عليها كما بينه الجاربردي في شرح
الشافية وبهذا تبين بطلان قول من قال بالكفر ب
غير القاصد وانه من قبيح الزلل مع منابذته لما اصله
ابو حنيفة من عدم اكفار الملتزم مع وجود ادنى
شبهة ثم التضييق الذي اختص به الكفرة هو تخييط
الثياب والسراويل بحيث تصف العورة على شكل خاص
وثياب النظام الاسلامي ليست بهذه المثابة بل تخالفها
في اكثر الصفات ومشابهتها اياها من بعض الوجوه
لا يثبت التشبه لان الخبر مطلق فيه والمطلق ينصرف
الى الكامل ولا يتناول الناقص كما عرف في الاصول
فكانت خارجة عنه مترقية من مرتبة الاستحباب
الى الاباحة لما روينا وليس يصح في الاذهان شيء
اذا احتاج النهار الى دليل الفصل الثاني في تعيين
ما فيه الجند وتخصيص علمهم هو امر معروف

نبيه صلى الله عليه وسلم مقرر في الكتاب العزيز
مع توجيه العتاب الى من قصر في لزوم موقفه والاعتنا
بما هو مصلحة لهم من عمله والاشارة الى التأثيم بذلك
ان لم يتداركه الله بعفوه قال تعالى ولقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد
عفا عنكم والله ذو الفضل على المؤمنين قال
الامام ابن جرير في تفسيره يعني ولقد صدقكم الله
وعده ايها المؤمنون من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم باحد وعده الذي وعدكم على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على
لسانه باحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا
وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم
مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

النصر يومئذ ان اطيعوا الامر ثم روى باسناده
عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المشركين باحد امر الرماة فقاموا باصل
الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان
رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم
وامر عليهم عبد الله بن جبير اخا خوات بن جبير ثم ان
طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر
اصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم
الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم احد
يعجله الله بسيفي الى الجنة او يعجلني بسيفه الى النار
فقام اليه علي بن ابي طالب فقال والذي نفسي بيده
لا افارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار او يعجلني
بسيفك الى الجنة فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت
عورته فقال انشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي اصحابه

ما منعك ان تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حيث
انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام
والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه فهزموا ابا سفيان
فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين
حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه في جوف عسكر المشركين
ينتهبون بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم
فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله
ثم حمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى
المشركون خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين
فهزموهم وقتلوهم وروي ايضا عن البراء قال لما
كان يوم احد ولقينا المشركين اجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وامر عليهم عبد الله

بن جبير اخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا
مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان
رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقي القوم هزم
المشركون حتى رأيت النساء رفعن عن سوقهن وبدت
خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة قال عبد الله مهلا
اما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابوا فانطلقوا فلما اتوهم صرف الله وجوههم
فاصيب من المسلمين سبعون قتيلا وروينا ايضا
عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه قال ان ابا سفيان اقبل في ثلاث ليال خلون من
شوال حتى نزل احدا وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذن في الناس فاجتمعوا وامر على الخيل الزبير بن
العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي واعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش
يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب

يا وبعث حمزة بين يديه واقبل خالد بن الوليد
على خيل المشركين ومعه عكرمة بن ابي جهل فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال الزبير وقال استقبل
خالد بن الوليد فكن بازائه حتى اوذنك واقبل بخيل
اخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى اوذنكم
واقبل ابو سفيان يحمل اللات والعزى فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الزبير ان يحمل على خالد بن
الوليد فهزمه ومن معه فقال ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وان الله وعد
المؤمنين ان ينصرهم وانه معهم وروى ايضا عن عبد الله
بن الزبير قال قال الزبير والله لقد رايتني انظر الى خدم
هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون
اخذهم قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين
كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل

فاتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل
فانكفانا وانكفا علينا القوم بعد ان ردينا اصحاب اللواء
حتى ما يدنوا منه احد من القوم وقوله اذ تحسونهم اي
تقتلونهم قتلا ذريعا قال مولانا الفاضل الاكبر في
تفسيره وكانوا قتلوا من المشركين اثنين وعشرين رجلا
وقوله حتى اذا فشلتم غاية للقتل والفشل الجبن والضعف
والتنازع الاختلاف في الامر والمراد به ما وقع من الرماة
وعصيانهم مخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياهم بملازمة المركز قال ابو حيان في تفسيره جاءت
المخاطبة للجميع على طريقة العرب في نسبة ما يقع من
بعضهم للجميع على سبيل التجوز ستر لمن فعل وزجر لمن لم
يفعل ان يفعل وقوله من بعد ما اراكم ما تحبون اي من
الظفر والغلبة على المشركين وجواب اذا محذوف اي منعكم
والذين يريدون الدنيا هم التاركون للمركز والدنيا الغنيمة
والذين يريدون الآخرة الثابتون في مركزهم مع اميرهم

عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة فقتلوا جميعا كما ذكره
مولانا الجد في تفسيره وقوله ثم صرفكم عنهم أي عن
المشركين فرد وجوهكم عنهم لمخالفتكم الأمر وإيثاركم
الدنيا عقوبة لكم على ما فعلتم وقوله ليبتليكم أي ليختبركم
فيميز المخلص من غيره والمؤمن من المنافق وقوله
ولقد عفا عنكم أي عاملكم بعفوه عن عظيم ما ارتكبتموه
من مخالفة الأمر وخيانة الله ورسوله والمؤمنين
إذ لم يستأصلكم العدو وقوله والله ذو فضل على
المؤمنين أي يتفضل عليهم فلا يجازيهم بجميع ما يستحقونه
من العقوبة ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى تحذير
المؤمنين للموافق من مفارقة مراكزهم ومن المبادرة إلى
المغنم بأن ذلك موجبات الفشل والضعف وسطوة الأعداء
مع ما فيه من المعصية والإثم العظيم والوصف الذميم
فإن الخطاب الكريم وإن وجد لأهل أحد فغيرهم مراد
منه بالأولى وروى ابن جرير عن الحسن في قوله ولقد

عفى عنكم قال قال الله عز وجل قد عفوت عنكم إذ عصيتموني
ألا أكون استأصلتكم ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله غضاب لله
يقاتلون أعداء الله نهوا عن شيء فصنعوه فوالله ما تركوا
حتى غموا بهذا الغم فأفسق الفاسقين اليوم يتجرثم كل كبيرة
ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس
عليه فسوف يعلم انتهى قلت فأشار رحمه الله إلى أن
الأمر في غيرهم أشد وأن العفو الذي خوطبوا به مع
ما في ضمنه من التقريع إنما حصل لهم ببركة صحبتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وقتالهم بين يديه ولا كذلك
غيرهم ثم أفادت الآية الكريمة حرمة التحرز عن
المراكز واستعجال الغنيمة قبل تمام الفتح وأن من خالف
حكم الله في ذلك فقد عرض نفسه لغضب الله تعالى وتعجيل
عقوبته بعظيم ما اجترحه من خذلان الدين وخيانة
المسلمين وقال تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين

مقاعد للقتال والله سميع عليم الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وعامل اذ محذوف تقديره واذكر والغدو
والخروج أول النهار وكان ذلك في غزوة أحد
على ما عليه الأكثر وقيل في غزوة الأحزاب وتبوئ
بمعنى تنزل ومقاعد جمع مقعد مكان القعود والمراد
مواطن ومواقف قال في الكشاف اتسع في قعد وقام
حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم
من مقامك أي من مجلسك وموضع حكمك انتهى
وقال ابن عطية لفظ القعود ادل على الثبوت ولاسيما
ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف
المسلمين أولا والمبارزة والسرعان يجولون قال
وجمع المقاعد لأنه عين لهم مواقف كالميمنة والميسرة
والقلب والساقة وبين لكل فريق منهم موضعه الذي
يقفون فيه وخرج صلى الله عليه وسلم بعد صلاة

الجمعة

الجمعة واصبح بالشعب يوم السبت للنصف من شوال فمشى
على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كأنما يقوم بهم
القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله
في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وأمر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا
بالنبل لا يأتونا من ورائنا انتهى قال الامام
ابو منصور الماتريدي وفي الآية ان الائمة هم الذين
يتولون أمور المسالك ويختارون هذه المقاعد
وعليهم تعاهد احوالهم ودفع الخلل والضياع عنهم
ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الامارة
من الامام قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم انتهى قال الامام الطرطوشي في سراج
الملوك من الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون
حماة الرجال وكماة الأبطال في القلب فانه متى انكسر
الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته

تخفق وطبول تضرب كانت حصنًا للجانحين يأوي إليه
كل من هزم وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال
الطائر إذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد
حين وإذا انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا يعتبر
لكثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع
الفارون إلى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر
انكسر قلبه فأفلح فالمهم ان يكون مكيدة من صاحب
الجيش فيحمل القلب قصدا وتعمدا ولا يبادر به كبير أمر
حتى إذا توسط العدو اشتغل بحصره فانقضت عليه الجناحان

الفصل التاسع في عقد الألوية والرايات وبيان
ها الألوية جمع لواء العلم الصغير والرايات
جمع راية علم أكبر من اللواء وأصغر من البند وقد
مر لنا في سبق نقله عقده صلى الله عليه وسلم الألوية
المتعددة في غزوة بدر وأنه خصص كلا من الأوس
والخزرج والمهاجرين بلواء ونقل في السيرة الحلبية عن

ابن اسحاق وابن سعد انه لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه
صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر
والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما
كانت الألوية انتهى وروى أصحاب السنن الأربعة
عن جابر رضي الله عنه قال كان لواء رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض وروى ابن اسحاق في سيرته
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لواء رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب
من مرط مرحل في سيرة الدمياطي وكانت له صلى الله عليه
وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب
وكانت له راية صفراء ولواؤه أبيض انتهى وفي السيرة
الحلبية جاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم
كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول
الله أي بالسواد انتهى قال في الفتاوى الظهيرية ٥
وينبغي أن تكون ألوية المسلمين بيضا والرايات سودا واللواء

للإمام والرايات للقواد انتهى اى لأن المعروف من
سيرته انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع رايته لقائد
جيشه كما يشير ما روى البخارى عن سلمة ابن الاكوع
قال كان على بن ابى طالب تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا فقال انا اتخلف عن
النبى صلى الله عليه وسلم فلحق فلما بتنا الليلة التى
فتحت خيبر قال لأعطين الراية غدا او ليأخذن
الراية غدا رجلا يحب الله او يحبه الله ورسوله يفتح
الله على يديه فنحن نرجوها فقيل هذا على فاعطاه
ففتح عليه وروى الامام احمد عن ابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها فجاء فلان
فقال انا قال امض ثم جاء رجل آخر فقال امض
ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى كرم وجه
محمد لأعطينها رجلا لا يفر هاك يا على وفى هذا

النبى اعتناؤه صلى الله عليه وسلم بأمر الراية واختياره
لها من تقدمت تجربته وعلم منه الوفاء بحقها فانت
على بن ابى طالب تقدمت له قبل ذلك مشاهد علم
منها بصره بالحرب وعرف بالشجاعة والاقدام
فقد ذكر ابو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب
انه رضى الله عنه شهد بدرا والحديبية وسائر المشاهد
ما عدا تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلفه فيها على المدينة وانه ابلى ببدر واحد والخندق
بلاء عظيما وانه اغنى فى تلك المشاهد وقام فيها المقام
الكريم قال وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده فى مواطن كثيرة وانه لما قتل مصعب بن عمير يوم
احد وكان اللواء بيده دفعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى على انتهى ونقل صاحب المستطرف عن مصعب
الزبيرى قال كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب
شديد الروغان من قرنه لا يكاد احد يتمكن منه وكانت

درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له الا تخاف ان تؤتى من
قبل ظهرك فقال اذا امكنت عدوي من ظهري فلا ابقى
الله عليه ان ابقى عليها انتهى قال صاحب المستطرف
وقيل له كيف صرت تقتل الابطال فقال لاني القى الرجل
فاقدر اني اقتله ويقدر هو اني اقتله فاكون انا ونفسه
عونا عليه انتهى فائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما الا لما شهدت له به التجربة وكوشفا به من صدقه
واخلاصه وتأييده بصابة رايه فلا يجوز لصاحب
الجند ان يمكن من رايته الا من شهدت التجربة بسداد رايه
في الحرب وقوة قلبه واقدامه في مواطن الاقدام وحسن
تخلصه اذا عظم البلاء وتعرف فيه صدق النية ونصح
الدين فانها نصبت علما لرفعة الدين كلمة الله وقيام
الاصلة وانتصار دينه ولا يحل له ان يتبذلها لمن يلطف
به العجز عن القيام بحقها قال الامام الطرطوشي
في سراجه الثالث حسن المثال في استجواد القواد واصحاب

الامراء واصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم اسد
يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد قال
ولا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذا البسالة والنجدة
والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريئه
رابط الجاش صادق البأس ممن قد توسط الحروب
ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع
الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب
والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب سده بالحماة
والابطال من ذلك بصيرا بصفوف العدو ومواقع
الغرة منه ومواضع الشدة منه فانه اذا كان كذلك
وصدر الكل عن رايه كان جميعهم كأنهم مثله فان رايت
ليس الكتاب وجها والا ورد الفهم للزيبة وقال
الامام شمس الائمة السرخسي في المبسوط يحكى عن نصر
بن سيار قال اجمع عظماء العجم وغيرهم على ان قائد
الجيش ينبغي ان تكون فيه عشرة خصال من خصائل البهائم

شجاعة كشجاعة الديك وتحنن كتحنن الدجاجة وقلب
كقلب الاسد وروغان كالثعلب اي يكون صاحب
مكر وحيلة وغارة كغارة الذيب وحذر كحذر الغراب
وحرص كالكركي وصبر على الجراح كالكلب وحملة
كالخنزير وسمن كما يكون لدابة بخرسان لدهقان
يقال انتهى وفي الجامع الكبير للامام السيوطي
قال المراني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اوصى
يزيد بن ابي سفيان حين وجهه الى الشام فقال سر على
بركة الله فاذا دخلت بلاد العدو فكن بعيدا من الحملة فاني
لا امن عليك الجولة واستظهر في الزاد وسر في الادلاء
ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس
من البيات فان في العرب غرة واقلل من الكلام فانما لك
ما وعي عنك فاذا اتاك كتابي فانفذه فانما اعمل على
حسب انفاذه واذا قدمت وفود العجم فانزلهم معظم
عسكرك واسبغ عليهم النفقة وامنع الناس من محادثتهم

ليخرجوا

ليخرجوا جاهلين ولا تلحن في عقوبة ولا تسرعن اليها
وانت تكتفي بغيرها واقبل من الناس علانيتهم وكلهم
الى الله في سرائرهم ولا تجسس عسكرك فتفضحه
ولا تهمله فتفسده واستودعك الله الذي لا يضيع
ودائعه انتهى ثم قد ذكرنا ان اللواء اصغر من
الراية فوجه ايثار القواد بالاكبر اظهار التواضع
المطلوب لاسيما في هذا الموطن ومخالفة عادة اهل
الكبر وقد روى البيهقي عن انس قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وذقنه على راحلته
متخشعا وقال ابن اسحاق في سيرته حدثني عبد الله بن
ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى الى
ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه
تواضعا لله حين راى ما اكرمه الله به من
الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل هذا

يجب ان تكون حال امراء الاسلام وجنوده اذا فتحوا
مدينة أو حصنا أو قلعة أو ظهروا على عدو ان يستشعروا اضعف
أنفسهم ومنة المولى سبحانه وتعالى عليهم بما أكرمهم
به من الفتح فيظهروا التواضع والخشوع له تعالى شكرا
لنعمته فان الشكر قيد النعم ولا تكون حالهم في ذلك
كحال سفهاء بني اسرائيل اذ قيل لهم ادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم
يقولون حنطة في شعرة وروى البخاري عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان قتل زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله
بن رواحة وروى أيضا عن أنس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل
ان يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ
جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان

حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم
انتهى يعني خالد بن الوليد وكان أخذه اياها
من غير تأمير منه صلى الله عليه وسلم بل برضا جماعة
معه من المسلمين كما بينه ابن اسحاق وغيره فيما رويناه
أيضا فيؤخذ من ثنائه صلى الله عليه وسلم بأمر الراية
واستخلافه عنهما واحدا بعد واحد وثنائه على أخذها
من غير تأمير منه صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تشريع
لامته فيستحب لامراء الاسلام ان يستخلفوا عنهما ويتأكد
ذلك في مواطن الشدة احترازا من عدم الى سقوطها
ويجب على الحاضرين المبادرة لاخذها اشارة لعلم التثبيت
وتثبيتا لقلوب المسلمين واما الراية الحمراء فلم أرها
ذكرت الا فيما ذكر صاحب المنتخب المختار اذ قال
في الخبر عن وقعة صفين وخطب علي أصحابه فقال
أيها الناس ان الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته
مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص

والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف اهون من موت الفراش ايها الناس اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدي واياكم الراية الحمراء فقال رجل من اهل العراق ما رأيت كاليوم خطيبا يأمرنا ان نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا وبينها مائة الف سيف الحديث ففي هذا ان جند معاوية رضي الله عنه كانت لهم راية حمراء وما ذكر ايضا فقال وجمع علي راية بكر بن وائل كلها لحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة وحمل الى حضين لوائه وكانت له راية حمراء فلم يغن احد غناءه بصفين فقال فيه علي رضي الله عنه

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها ... اذا قيل قدمها حضين تقدما
يقدمها في الصف حتى يزيرها ... حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عني والجزاء بكفه ... ربيعة خيرا ما اعف واكرما

ففي هذا ايضا ان جند علي رضي الله عنه بصفين كانت لهم

راية حمراء

الفصل العاشر في التدريب على الاعمال الحربية

التدريب من الدربة بالضم عادة وجراءة على الحرب وكل امر يقال درب بالشيء بالكسر اذا اعتاده وضري به ودربت البازي على الصيد اي ضريته فالمراد تعليم صناعة الحرب التي هي علم كيفية اعماله مع مباشرتها لتحصل ملكة التي هي كيفية نفسانية تصدر عنها افعاله الاختيارية من غير روية والاصل في قوله تعالى خطابا للملائكة الذين امدهم اهل بدر والمؤمنين على ما في ذلك من الخلاف بين ائمة التفسير فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال الامام الماوردي في تفسيره فيه خمسة اقاويل احدها فاضربوا الاعناق وفوق صلة زائدة في الكلام قاله عطية والضحاك الثاني واضربوا الرؤوس فوق الاعناق قاله عكرمة الثالث اضربوا على الاعناق الرابع اضربوا اعلى الاعناق الخامس

اضربوا ملدة الأعناق انتهى قلت واشبهها بالصواب
الرابع لأن فيه ابقاء اللفظ على حقيقته مع ان اعلى
العنق محل مفصله وانه امضى للسيوف وانفى له
وامكن من القتل وابانة الرأس اذهب للأعضاء و
وقوله تعالى واضربوا منهم كل بنان قيل هي اطراف
الاصابع وقيل المفاصل كلها وقيل الأعضاء كلها
حكاها ابو السعود في تفسيره قلت واقربها الأول
لأنه حقيقة اللفظ لكن الوجه ارادة خصوص
اطراف اصابع اليدين لأنها ابلغ في القطب وابعد
من تعريضه السيف للتلف باصابة الارض تضمنت
الاية الكريمة بيان المقاتل والمعاطب والايصاء
بالابقاء على آلة الدفاع والتحذير من اتلافها وتعريض
النفس بذلك للقتل وجميع عدد الحرب مندرجة
في هذا المعنى لا سيما العدد البارودية التي هي اليوم
اعظم ما يتقوى به ولا تحسن الاعمال عليهم وكلفة

زايدة فيجب ان يبالغ في التحفظ عليها ولا تمكن الامن
امين عارف بانواعها مميز بين غليظها ودقيقها
وقويها وضعيفها بصير باحوالها وبما يحتمله كل نوع
منها متوق من غوائلها حتى لا يعود ضرر حمله
وخطره على نفسه او احد من المسلمين فانه ليس
الخطب في ذلك باليسير ولقد روى الشافعي والبيهقي
عن انس بن مالك رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه سأله اذا حاصرتم المدينة كيف
تصنعون قالوا نبعث الرجل ونصنع له هنة من جلود قال
ارأيت ان رمي بحجر قال اذا يقتل قال فلا تفعلوا فوالذي
نفسي بيده ما يسرني ان تفتحوا مدينة فيها اربعة
مقاتل بتضييع رجل مسلم فنبه رضى الله عنه على ان
حفظ المسلم من الهلاك افضل من اراقة دماء المشركين
وفتح بلادهم ومن اهم ما يعتنى به في شأنها التحفظ
من اصابة النار شيئا من البارود حال العمل به فان

المثلى فيه أعظم وأطم والمتوكل بذلك مندرج في عموم
من حرس في سبيل الله ورابط في سبيله إذا بذل النصح
وأخلص النية في ذلك مرجو له الثواب الموعود فيما
روى أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى والطبراني
عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله
متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم
فإن الله يقول وإن منكم إلا واردها وما روى الخطيب
عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من ت أنه قال من رابط فواق ناقة وجبت له الجنة
وقوله فواق ناقة أي قدر ما تحلب قاله ابن حبيب
وقال غيره قدر ما بين الحلبتين وقوله لا يأخذه
سلطان أي لا يكرهه على ذلك وهو تفسير للمتطوع
قبله فأما إن عين لذلك فامتثل راضيا به منشرح
الصدر له فلا ينافي التطوع كما لا ينافيه أخذ الجامكية

من بيت المال لكفايته لأنها أعدت لذلك شرعا
وجاء فيما ذكر ابن الحاج في مدخله عن ابن عمر رضي الله
عنهما أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لأن الحرس
فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه إراقة دماء
المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى انتهى ومما يستأنس به
في الحث على تعلم الرماية ما روى البخاري عن سلمة بن
الأكوع قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال ارموا بني
إسماعيل فإن أباكم كان راميا وأنا مع بني فلان
لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال ما لهم قالوا
وكيف نرمي وأنت مع بني فلان قال ارموا وأنا معكم كلكم
قال الإمام البغوي في شرح السنة يتناضلون أي يرمون
والنضال الرمي مع الأصحاب يقال ناضلته فنضلته
والرمي قد يكون من فرد كما يكون من جماعة انتهى
وروى مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم
الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه وروى
ايضا عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة
بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير يشق
عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم اعانه فقيل لابن شماسة
وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس
منا او ليس منا ولا يعتد بالحديث تارك الرمي
وروى ابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني وروى ابو داود
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك
الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او قال
كفرها ففي هذه الاخبار حثه صلى الله عليه وسلم
على تعلم الرمي وعلى معاهدته بعد تعلمه وروى

الخطابي

الخطابي في معالم السنن باسناده الى عقبة بن عامر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رميه بقوسه وتاديبه
فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق قال وفي هذا
بيان ان جميع انواع اللهو محظورة وانما استثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخلال من
جملة ما حرم منها لان كل واحدة منها اذا تاملتها
وجدتها معينة على حق او ذريعة اليه قال ويدخل
في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح والشد على
الاقدام ونحوهما مما يرتاض به الانسان فيتوقح بذلك
بدنه ويتقوى به على مجالدة العدو فاما سائر
ما يتلهى به البطالون من انواع اللهو كالنرد والشطرنج
والمزاجلة بالحمام وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان
به في حق ولا يستجم به لدرك واجب فمحظور كله
انتهى وروى البزار عن جابر رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بتعلم الرمي فانه
نكاية العدو اي اغاظة له وله شواهد ترتيبه الى الحسن
وروى القراب في فضل الرمي عن حذيفة رضي الله عنه
قال كتب عمر الى اهل الشام ايها الناس ارموا واركبوا
والرمي احب الي من الركوب فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة
من عمله في سبيله ومن قوى به في سبيل الله ومنها المنجنيق
ما ذكر الامام الشافعي رضي الله عنه في اماليه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب على اهل الطائف
منجنيقا او عرادة والعرادة بالتشديد شيء اصغر من
المنجنيق وما روى ابن سعد عن مكحول ان النبي صلى الله
عليه وسلم نصب المنجنيق على اهل الطائف اربعين يوما
ومثله لابن اسحاق في سيرته وزاد حتى اذا كان يوم
دخل نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه فارسلت

عليهم

عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من
تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا وما روى
ابن هشام في سيرته فقال حدثني من اثق به ان النبي
صلى الله عليه وسلم اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق
رمى به اهل الطائف وقال الواقدي في سيرته ان
سلمان الفارسي رضي الله عنه هو الذي اشار بالمنجنيق
قال وقيل قدم به يزيد بن ثابت فالله اعلم انتهى
وفي السيرة الحلبية في الحديث عن غزوة خيبر والكلام
على محاصرة حصن النطاة من حصون خيبر قال وكان
صلى الله عليه وسلم يناوب بين اصحابه في حراسة
الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر
فطاف باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل من
يهود خيبر في جوف الليل فامر به عمر ان تضرب عنقه
فقال اذهب بي الى نبيكم حتى اكلمه فامسك عنه
وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي ما وراءك
فقال تؤمنني يا أبا القاسم فقال نعم قال خرجت من
حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه
الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه
ذراريهم ويتهيئون للقتال وفي هذا الحصن بيت فيه
تحت الأرض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا
دخلت الحصن غدا وانت تدخله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله اوقفتك
عليه فانه لا يعرفه غيري واخرى قيل ما هي قال
تستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت
الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذا تفعل
بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمي قال أنت
آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه صلى
الله عليه وسلم الى الاسلام فقال انظرني أياما ...
أيضا نقلا عن الامتاع انهم يعني الصحابة نصبوا المنجنيق

على

على حصن البراء احد حصون خيبر قال وهو يخالف
قول بعضهم لم ينصب الا في غزوة الطائف الا أن
يقال المراد انه لم يرم به الا في غزوة الطائف
وهنا نصب ولم يرم به وفيها أيضا ان أول من صنع
المنجنيق ابليس فان نمرودا لعنه الله لما اراد ان يلقي
ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار بنى بجنب
الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ولما ألقوا الحطب
وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى ذلك الجدار
لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم ابليس لعنه الله
في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس
الجبل ووضعوه فيه والقوه في تلك النار انتهى
ذكره في تفسير المولى أبي السعود زاد وقيل صنعه لهم
رجل من الأكراد انتهى وجاءت اخبار في الحث
على اقتناء الخيل والركوب والمسابقة عليها وبيان
فاضلها من منفعتها فروى البخاري عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من
احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
القيامة وروى ابن حبان في صحيحه عن ابي كبشة
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل
معقود في نواصيها الخير واهلها معانون عليها والمنفق
عليها كالباسط يده بالصدقة وروى ابن ماجة
وابن حبان عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من ارتبط فرسا في سبيل
الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة وروى
الترمذي وابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارموا واركبوا
وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل شيء يلهو به الرجل
باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته
امرأته فانهن من الحق ففي هذا الحديث تفضيل الرمي

على

على الركوب فينبغي ان يجمع بينهما ليحوز الفضيلتين
وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي اضمرت
من الحفياء وامدها ثنية الوداع وبينهما ستة اميال
وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني
زريق وبينهما ميل قال الامام البغوي في شرح
السنة التضمير في الخيل ان تعلف الحب والقضيم حتى
تسمن وتقوى ثم تغشى بالجلال وتترك حتى تحمى
فتعرق فلا تعلف الا قوتا حتى تضمر ويذهب رهلها
ويشتد لحمها فتخف والامد الغاية يريد انه جعل
غاية المضامير ابعد من غاية ما لم يضمر من الخيل لان
المضامير اقوى مما لم يضمر وكل ذلك اعداد للقوة
في اعزاز الدين امتثالا لقوله عز وجل واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة انتهى وروى ابن ابي شيبة عن
الزهري قال كانوا يتراهنون على عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم واول من أعطى فيه عمر بن الخطاب
يعني في السباق وروى الترمذي وابو داود والنسائي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا سبق الا في نصل او خف او حافر السبق بفتح الباء هو المال
المشروط للسابق على سبقه وبسكونها مصدر سبقته
سبقا والمراد من النصل السهم ومن الخف الابل ومن
الحافر الخيل اي الا في ذي خف او حافر قال الخطابي
في معالم السنن والرواية الصحيحة في هذا الحديث لا سبق
بفتح الباء انتهى قال الامام البغوي في شرح السنة
وفيه اباحة اخذ المال على المناضلة لمن نضل وعلى المسابقة
على الخيل والابل لمن سبق واليه ذهب جماعة من اهل
العلم اباحوا اخذ المال على المناضلة والمسابقة لانها
عدة لقتال العدو وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد
انتهى وقال في شرعة الدراية المسابقة في الخيل والابل
والرمي جائزة بالسنة واجماع الامة ان شرط المال

من جانب واحد بان يقول احدهما لصاحبه ان سبقتني
فلك كذا وان سبقتك فلا شيء لي ومن مالك فلا يجوز
لانه قمار وان كان اشتراط العوض من الامام تجوز
بالاجماع لان هذا مما يحتاج اليه ولانه حث على
الجهاد وحرام لو شرط العوض المال من الجانبين بالاجماع
الا اذا ادخلا ثالثا بينهما وقال للثالث ان سبقتنا فالمال
لك وان سبقناك فلا شيء لك وهو فيما بينهما ايهما
سبق اخذ الجعل من صاحبه وعن اشهب انه سال مالكا
عن المحلل فقال لا احبه ولنا ما رواه ابو هريرة انه
عليه الصلاة والسلام قال من ادخل فرسا بين فرسين
وهو لا يأمن ان يسبق فليس قمارا وان أمن ان يسبق فهو
قمار رواه ابو داود فلهذا يشترط ان يكون فرس المحلل
او بعيره مكافئا لفرسيهما او بعيريهما وان لم يكن مكافئا
بان كان احدهما بطيئا فهو قمار قال محمد وحال الثالث
انما يكون حيلة اذا توهم سبقه ويشترط في المسابقة

في المسابقة في الحيوان تحديد المسافة وكذا في المفاضلة بالرمي
والمسابقة بالأقدام تجوز اذا كان المال مشروطا من
جانب واحد وقال مالك واحمد لا تجوز بجعل لأن
السبق بالأقدام من غير الثلاثة ولنا انه عليه الصلاة
والسلام سابق عائشة رضي الله عنها والمراد بحديث
أبي هريرة انه لا حاجة في المسابقة في الجهاد الا في هذه
الثلاثة انتهى قال في خلاصة الفتاوى والمراد من
الجواز الحل لا الاستحقاق فانه لا يستحق بهذا شيئا
انتهى اي فلا يجبر الآبي على الاداء في القضاء واعلم انه
لا خصوصية لشيء من آلات الرمي والمرمى به في شيء
من ذلك انما المدار على حصول نكاية العدو به لأنها المقصودة
منه ذكر القوس والسهم فيما روينا من الاخبار خرج مخرج
العادة لأن المعتاد في زمانه صلى الله عليه وسلم
الا ترى الى ما روى البخاري عن عبد الله بن مغفل المزني
قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال انه

لا يقتل

لا يقتل الصيد ولا ينكي العدو وانه يفقأ العين ويكسر
السن قال ابن الاثير في نهايته الخذف بخاء بذال معجمة
رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي
بها او تتخذ مخذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين
ابهامك والسبابة انتهى فأشار صلى الله عليه وسلم
الى العلة المقصودة من الرمي وان حكمه دائر معها ثبوتا
وانتفاء فكل ما ثبت للرمي بالقوس من فضل واباحة
جعل مناضلة ثابت لعدد البارود وزيادة لأن
الحكم لما كان معلولا بالنكاية وهي مما يختلف بالقوة
والضعف كان المفاد تفاوت رتب الفضيلة على حسب
تفاوت النكاية على انه صلى الله عليه وسلم قد اطلق
الرمي في الخبر الذي جاء مبينا لما تضمنته آية الاعداد
من القوة وهو ما قدمناه في الفصل الاول من حديث
مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي الا ان القوة الرمي * قد قام دليل ارادة
الاطلاق فكان هو المعتبر وجاء في الدرق والحراب
ما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت
كان يوما عندي يلعب السودان بالدرق والحراب
فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال
تشتهين ان تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه خدي
على خده ويقول دونكم بني ارفدة حتى اذا مللت
قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي * وبنو ارفدة لقب
للحبشة وقيل هو اسم ابيهم الاقدم يعرفونه وفاؤه
مكسورة وقد تفتح قاله ابن الاثير في نهايته قال
ابن بطال وفي الحديث جواز النظر الى اللهو المباح
قال ويمكن ان النبي صلى الله عليه وسلم مكن عائشة
من النظر لتضبط السنة وتنقل تلك الحركات المحكمة
الى بعض من يأتي من ابناء المسلمين فتعرفهم انتهى

وجاء في المصارعة ما روى ابو نعيم في دلائل النبوة
عن ابي امامة رضي الله عنه قال كان رجل يقال له ركانة
وكان من افتك الناس واشدهم وكان مشركا وكان
يرعى غنما له في واد يقال له اضم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بيت عائشة ذات يوم فتوجه قبل
ذلك الوادي فلقيه ركانة فقال يا محمد انت الذي
تشتم آلهتنا اللات والعزى وتدعو الى الهك العزيز
الحكيم لولا رحم بيني وبينك ما كلمتك الكلام حتى
اقتلك وكن ادع الهك العزيز الحكيم ينجيك مني
اليوم وسأعرض عليك امرا هل لك ان اصارعك
وتدعو الهك العزيز الحكيم يعينك علي وانا ادعو اللات
والعزى فان انت صرعتني فلك عشر من غنمي هذه *
تختارها فقال عند ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم
نعم ان شئت فاتخذا فدعى نبي الله صلى الله عليه وسلم
الهه العزيز الحكيم ان يعينه على ركانة ودعى ركانة

اللات والعزى آهين اليوم على محمد فأخذه النبي صلى
الله عليه وسلم فصرعه وجلس على صدره فقال
ركانة فلست الذي فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز
الحكيم وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي أحد
قبلك فقال له ركانة عد فان أنت صرعتني فلك عشرة
أخرى تختارها فأخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم
ودعى كل واحد منهما آلهه كما فعلا أول مرة فصرعه
النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على كبده فقال له ركانة
قم فلست أنت الذي فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز الحكيم
وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي أحد قبلك
فقال له ركانة عد فان انت صرعتني فلك عشرة أخرى
تختارها فأخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم ودعى كل
واحد منهما الهه كما فعلا أول مرة فصرعه النبي صلى
الله عليه وسلم الثالثة فقال له ركانة لست أنت الذي
فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني

اللات

اللات والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمي فاخترها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما أريد ذلك ولكن
أدعوك الى الاسلام يا ركانة وأنفس بك ان تصير
الى النار انك ان تسلم تسلم فقال له ركانة لا الا ان
تريني آية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عليك
شهيد لئن انا دعوت ربك فأريتك آية لتجيبني الى ما
ادعوك اليه قال نعم وقريب منهما شجرة سمر ذات
فروع وقضبان فأشار اليها نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقال لها اقبلي باذن الله فانشقت باثنين فاقبلت على
نصف شقها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وبين ركانة فقال ركانة
له أريتني عظيما فأمرها فلترجع فأمرها فرجعت بقضبانها
وفروعها حتى اذا التأمت بشقها قال له النبي صلى الله
عليه وسلم اسلم تسلم فقال له ركانة ما بي الا ان اكون
قد رأيت عظيما ولكني أكره ان تتحدث نساء المدينة وصبيانهم

في انما أبغضتك لرعب دخل قلبي منك ولكن قد علمت
نساء المدينة وصبيانهم انه لم يوضع جنبي قط ولم يدخل
قلبي رعب ساعة قط لا ليلا ولا نهارا ولكن دونك
فاختر غنمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لي
حاجة الى غنمك اذ أبيت ان تسلم فانطلق نبي الله صلى
الله عليه وسلم واقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يلتمسانه
في بيت عائشة فاخبرتهما انه قد توجه قبل وادي أضم
وقد عرفا انه وادي ركانة لا يكاد يخطيه فخرجا في طلبه
واشفقا ان يلقاه ركانة فيقتله فجعلا يتصاعدان على كل
شرف ويتشوفان له اذ نظرا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا فقالا يا نبي الله كيف تخرج الى هذا الوادي وحدك
وقد علمت انه جهة ركانة وانه من أقتل الناس واشدهم
تكذيبا لك فضحك اليهما ثم قال أليس يقول الله لي
والله يعصمك من الناس انه لم يكن يصل الي والله معي
فانشأ يحدثهما حديث ركانة والذي فعل به والذي أراه

تعجبا من ذلك فقالا يا رسول الله أصرعت ركانة فلا و
والذي بعثك بالحق ما وضع انسان جنبه قط قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني دعوت الله ربي فأعانني
عليه ببضع عشرة وبقوة عشرة واصل تصنيف المصنف
قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم
بنيان مرصوص جاء في سبب نزولها والآية التي قبلها
ما رواه الامام البغوي في تفسيره عن محمد بن كعب
قال أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء
بدر فقالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه
وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله تعالى بهذه الآية
يعني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
والاتيان بعدها وقوله تعالى صفا قال المولى أبو السعود
مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية
من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين
انتهى قلت والأول أنسب بمقام الثناء على من هذه حاله

وتشريفه بمحبته تعالى التي لا شرف اعظم منها وعظم الجزاء
يدل على عظم الفعل المجازى عليه . قوله تعالى كأنهم
بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الأولى اى مشبهين
في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه على بعض
ووصف حتى صار شيئا واحدا . وقيل المرصوص المعقود
بالرصاص قيل فيها دلالة على فضل القتال رجالا على القتال
ركبانا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال
ابن عطية وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية
وليس المراد نفس التصاف وانما المراد الجد في كل اوطان
القتال واحواله وقصد الآية ان الذين يبلغ جهدهم
الى هذه الحال جديرون ان يقتصروا على حالهم انتهى
قلت يريد ان ذكر الصف والرص ليس على ظاهره
وانما هو كناية عن ثبات القلب واجتماع الكلمة وشد
القلوب بعضها ببعض . وهو الأوجه عندي اذ لو حمل
اللفظ على ظاهره لاقتضى ذم المتقدم الى العدو جمعا

وتفريقا

وتفريقا والشرع بخلافه فان قلت اذا لا تدل الآية
على فضيلة الصف قلت لا نسلمه لانه لا يمتنع في الكناية
ارادة كل من المعنى الأصلي والكنائي وهنا قد قامت
قرينة ارادتهما لان فيه ارهاب العدو وكتب السير ط
فحة بتصفيفه صلى الله عليه وسلم جنده ومن ذلك
ما حكى النووي في الحديث عن غزوة بدر قال وعدل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصفوف فتقدم سواد بن غزية
امام الصف فدفع النبي صلى الله عليه وسلم في بطن
سواد بقدح وقال استو يا سواد فقال اوجعتني والذي
بعثك بالحق نبيا اقدني فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم بطنه ثم قال استقد فاعتنقه وقبله فقال له ما
حملك على ما صنعت فقال حضر من امر الله ما ترى
فخشيت القتل فاردت ان يكون آخر عهدي بك ان
اعتنقك قلت واستفادة سواد من النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا الموطن وقصده الى الممازحة بما صنع صلى الله

عليه وسلم انما كانت لاظهار النشاط وطيب النفس
والفرح بلقاء الله وقلة المبالات بحد السيوف ورشق
السهام وطعن الرماح في مرضات الله ورسوله وتم ذلك
باعتناقه صلى الله عليه وسلم اظهار الكمال محبته وتعلق
القلب به في مثل هذا الموطن الذي يذهل فيه كل خليل
عن خليله فهكذا ينبغي ان يكون حال كل مؤمن في مثل هذا
الموطن ان يظهر من نفسه البشاشة والنشاط والرغبة
في الشهادة وتعلق القلب بنصرة دين الله فان في ذلك تثبيت
القلوب وطابة الخواطر واستمالتها الى الرغبة فيما اعد
الله تعالى لمن جاهد في سبيله و في ذلك فوايد الاعراض
عن الدنيا واخلاص النية لاعلاء كلمة الله وثبات
القدم وصدق الحملة وعقبى النصر وعظم الثواب
قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي اجابته
صلى الله عليه وسلم الى ما طلبه منه تصويب رايه فيما

ابداه في هذا الموطن ومجاراة له عليه واظهار للتواضع
المطلوب لا سيما في هذا الموطن من امير جيش وقايده
فانه من اسباب الرفعة فقد روى ابو نعيم في حليته
باسناد حسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من تواضع لله رفعه الله وجاءت في ذكر الصف
اخبار فروى الطبراني والحاكم عن عمران بن حصين
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
مقام الرجل في الصف في سبيل الله افضل من عبادة ستين
سنة وروى الحاكم عن سهل بن عمر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مقام احدكم في الصف
في سبيل الله ساعة خير له من عمله في اهله عمره وروى
الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال مقام رجل في صف في سبيل
الله خير من الدنيا وما فيها وروى ابن عدي وابن عساكر
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين
سنة وجاء في الاغارة ما روى الطبراني عن ام مبشر
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بخير الناس رجلا قالوا بلى قال رجل اخذ بعنان
فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه فقال اغار
على العدو اذا وجد من غبائه هجومه عليه قاله في المغرب
وما روى ابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي على الناس زمان يكون
خير الناس فيه رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما
سمع هيعة استوى على متنه ثم يطلب الموت مظانه
وما روى الامام الشافعي والبخاري ومسلم عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغار
على بني المصطلق وهم غارون بالمريسيع في نعمهم بالمريسيع
فقتل المقاتلة وسبى الذرية وما روى البخاري ومسلم
عن الصعب بن جثامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم عن اهل الديار يبيتون من المشركين فيصاب من
نسائهم وذراريهم قال هم منهم وفي رواية هم من
ابائهم اي فلا بأس باصابتهم تبعا لابائهم اذا لم يقصد
الى قتل الصغار فاما اذا عرفوا فلا يجوز قتلهم لما روى
البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وهذا
اذا لم يقع منهم قتال والا فلا بأس بقتلهم حال القتال
دفعا لشرهم وكذا لو كان احدهم ملكا او ذا رأي في الحرب
ومعنى البيات البغتة والخوف وجاء في الثبات والنفرة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا
ثبات او انفروا جميعا يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه
ويعصم بها روحه والنفير الخروج الى العدو غزوا
فالمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم
فاخرجوا اذا خرجتم لغزوه اما ثبات اي جماعات ذوي

منه جماعة بعد جماعة واما جميعا اى مجتمعين كوكبة
واحدة ولا تخذوا بانفسكم بالانفراد وتقليل الجمع
والتفرق فى المنازل روى ابو داود عن ابى ثعلبة
الخشنى قال كان الناس اذا نزلوا منزلا تفرقوا فى الشعاب
والاودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تفرقكم فى هذه الشعاب والاودية انما ذلكم من الشيطان
فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا الا انضم بعضهم الى بعض
حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم وفى الآية اشارة
الى انه يجب على امير الجيش اذا قصد جيشا او ارسل عينا
او بعث سرية او نحو ذلك ان يعين لذلك جمعا تحصل
لهم الكفاية والمنعة ولا يفرقهم لان الحذر المامور
به فى الآية اعم من حذر المخاطب به على نفسه وكل
مؤمن منه كما يفيده ما روى البخارى ومسلم والترمذى
والنسائى عن ابى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

وما روى

وما روى احمد ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمنون
كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه
اشتكى كله وجاء فى التقدم ما روى هنا والطبرانى
عن يزيد بن شجرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ما تقدم رجل خطوة فى سبيل الله الا
طامن اليه الحور العين وان تأخر خطوة استحيين منه
واستترن منه فان استشهد كانت اول نفحة من دمه
كفارة لخطاياه ويتنزل عليه اثنتان من الحور العين
فينفضان التراب عن وجهه ويقولان له مرحبا فقد آن
لك ويقول هو مرحبا فقد آن لكما وجاء فى الاحجام
وهو الكف عن الشيء والمراد هنا الكف عن القتال
الا لعذر النفع ما روى البخارى عن عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطائف فلم ينل منهم شيئا قال انا قافلون ان شاء

الله فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتحه فقال اغدوا
على القتال فغدوا فأصابهم جراح فقال انا قافلون
غدا ان شاء الله فاعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم وفي السيرة الحلبية انه صلى الله عليه وسلم
استشار في ذلك نوفل بن معاوية الديلي فقال يا رسول
الله ثعلب في جحر ان اقمت اخذته وان تركته لم يضرك
انتهى ففي هذا انه ينبغي لامير الجيش استعمال
المشورة في شأنه وانه اذا تعذر الفتح عاجلا وانه لا ييأس
الفتح الا بعد زمان ولم يخش من العدو عقبى سوء
جاز الكف عنه والاشتغال بما هو اهم وانه لا ينبغي
له ان يصدر عنه الا عن اتفاق من جنده حتى لا ينسب
لتقصير وسوء تدبير فيجر الى نفرة القلوب عنه والى
افتراق الكلمة ومن جائز الكر والفر ما روى الترمذي
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سرية فحاص الناس حيصة فأتينا

المدينة فاختفينا بها وقلنا هلكنا ثم اتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون
قال بل انتم العكارون وانا فئتكم وحاص بمهملتين
يقال حاص الناس في القتال انهزموا والعكارون
بمعنى الكرارون وكذا وقع في رواية ابي داود يقال
عكر اذا عطف اي انتم المتحيزون الى فئتكم على نية العود
الى الجهاد عند حصول الامداد وقوله وانا فئتكم
اي معاذكم وناصركم قاله صلى الله عليه وسلم لعذرهم
وفائدة شرعية الفرار من العدو اذا علم العجز عنه وهلك
المسلمين وكان اصابهم في غزوة مؤتة من ارض الشام
فقاتلوا منهم مقتلة عظيمة وكانوا ثلاثة آلاف فلقوا من
جميع الروم ما لا قبل لهم به فقتلوا منهم مقتلة عظيمة
وتخلصوا منهم وهذا من الترتيب ما قدمنا من الامر به
وما روى البخاري عن جرير رضي الله عنه قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تريحني من ذي الخلصة

فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا
أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدري حتى رأيت
أثر يده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا
قال فما وقعت عن فرس بعد قال وكان ذو الخلصة بيتا
باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة قال
فأتاها فحرقها بالنار وكسرها [illegible]
[illegible] والتثبيت [illegible] ما رواه مسلم
عن أبي إسحاق قال جاء رجل إلى البراء بن عازب فقال أكنتم
وليتم يوم حنين يا أبا عمارة قال أشهد على نبي الله صلى
الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس
وحسر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم
برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث
يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك
قال البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن
الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم بعد أن أسرع
ركض بغلته قبل العدو وعمه العباس وأبو سفيان بن
الحارث يقلدانها لئلا يسرع السير وهو ينوه باسمه
ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول أين يا عباد الله
إلي أنا رسول الله كما أفاده ذكر ابن كثير في تفسيره
قال وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة
أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وانكشف عنه جيشه
وهو مع هذا على بغلة ليست سريعة الجري ولا تصلح
لكر ولا لفر وهو مع ذلك أيضا يركضها إلى وجوههم
وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه
عليه أبدا قلت ويستفاد منه أنه لا يليق برئيس الجند
إذا قاربه العدو وانكشف عنه جيشه إلا التجلد للأعداء

والظهور خلفهم وحملة بنفسه عليهم مع استعطاف جنده
كما فعل صلى الله عليه وسلم وانه ادعى لرهبة العدو
اذا عرفوه بالشجاعة وتراجع جنده اذا علموا ثباته
وابلى العذر فان من كمال الرجولية ان يكون في مثل هذا
الموطن كما قيل   ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن
على اقدامنا يقطر الدم   وكما قيل
ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
والنزول اقصى غاية الشجاعة لانه ايهض الفرار
واياس من الحياة وهذا في التحريض والتثبيت قوله
تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ومعناه
الحث على الاقدام بكل ما امكن من الامور لترغيبه
واعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر والغلبة مرتبا
على الصبر وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم قال
الامام البغوي قيل ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال

اي تبشيرهم بقتالكم معهم المشركين وقال مقاتل
اي بشروهم بالنصر فكان الملك يمشي امام الصف
في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم
انتهى قال الملا علي القاري وقيل تثبيتهم اياهم
بان كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم
ان الله تعالى يخلق لهم منها كذلك انتهى
ومما ثبت في تثبيت ما روى مسلم عن ابن عباس
رضي الله عنه من قصة حنين قال فيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب
السمرة قال فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى
صوتي اين اصحاب السمرة فوالله لكان عطفتهم حين
سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك
يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار وفي السيرة الحلبية
ان صوت العباس رضي الله عنه كان يسمع من ثمانية
اميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه من [illegible]

وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية اميال
انتهى ففي هذا الحديث انه ينبغي لرؤساء الاجناد
ان يستصحبوا معهم من ذوي الاصوات الجهورية استعدادا
لمثل هذا الموطن فان له موقعا عظيما في استنجاد الرجال
وارهاب الاعداء وانه ينبغي للمتقدم ان يخص بدعوته
رجال الحرب المعروفين باخلاص النية وصدق الكرة
وحسن البلاء كما فعل صلى الله عليه وسلم اذ خص اهل
السمرة وهي الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان
فانه قد عرف مكانهم من السابقية والنصح لله ولرسوله
والتدرب على مجالدة الاعداء ولم يعرج على احد
من الطلقاء مسلمة الفتح اذ كان سبب الهزيمة من قبلهم
ولا خير في استنجاد جبان فانه قد قال قائل منهم
يقول لي الامير بغير علم ❊ تقدم حين جد بنا المراس
فمالي ان اطعتك من حياة ❊ ومالي غير هذا الراس راس
ومما في خفض الصوت ما روى ابو داود عن قيس بن عباد

قال

قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون
الصوت عند القتال من غير حاجة كما قدمناه قال
في الفتاوى الظهيرية لا يستحب رفع الصوت في الحرب
من غير ان يكون ذلك مكروها من وجه الدين ولكنه فشل
فان كان فيه منفعة للمسلمين فلا باس به انتهى ومما
في رد المنهزم ما روى الامام ابن جرير في تفسيره
عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث ناسا من الناس يعني يوم احد فكانوا من
ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا
هاهنا فردوا وجه من فر منا وكونوا حرسا لنا من قبل
ظهورنا ومما في الحراسة ما روى البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لعبد
آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث راسه مغبرة قدماه
ان كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان
استاذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع ومما روى الحاكم

والبيهقي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال حرس ليلة في سبيل الله عز وجل حرام على عينين
ان تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت
تحرس الاسلام واهله من اهل الكفر وما روى
الطبراني والحاكم والبيهقي عن عثمان رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرس ليلة في سبيل
الله عز وجل افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها
وما روى ابن ماجة عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال حرس ليلة في سبيل الله على ساحل
البحر افضل من صيام رجل وقيامه في اهله الف سنة
السنة ثلاثمائة يوم اليوم كالف سنة وما في ركوب
البحر ما روى البخاري ومسلم عن ام حرام بنت ملحان قالت
نام النبي صلى الله عليه وسلم يوما قريبا مني ثم استيقظ
يتبسم فقلت ما اضحكك قال اناس من امتي عرضوا علي
يركبون هذا البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت

فادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام الثانية ففعل
مثلها فقالت مثل قولها فاجابها مثلها فقالت ادع الله
ان يجعلني منهم فقال انت من الاولين فخرجت مع زوجها
عبادة بن الصامت غازيا اول ما ركب المسلمون البحر
مع معاوية فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام
فقربت اليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت وما روى
ابو داود عن ام حرام رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال المائد في البحر الذي يصيبه القيء
له اجر شهيد والغرق له اجر شهيدين وما روى
ابن ماجة والطبراني عن ابي امامة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شهيد
البحر مثل شهيدي البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه
في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز
وجل وان الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الارواح
الا شهيد البحر فانه يتولى قبض ارواحهم ويغفر لشهيد

البحر الذنوب كلها الا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب
كلها والدين وما روى ابو نعيم عن عمة النبي صلى
الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال
شهيد البر يغفر له كل ذنب الا الدين والامانة وشهيد
البحر يغفر له كل ذنب والدين والامانة الفصل
الحادي عشر في الحصون والدور وعدد البيوت
برواية البخاري عن اسامة رضي الله عنه قال اشرف
النبي صلى الله عليه وسلم على اطم من اطام المدينة
فقال هل ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال
بيوتكم كمواقع القطر قال في الصحاح الاطم مثل
الاجم يخفف ويثقل والجمع اطام وهي حصون لاهل
المدينة انتهى وبرواية ابن اسحاق قال حدثني ابو ليلى
بن عبد الرحمن الانصاري اخو بني حارثة ان عائشة
ام المؤمنين رضي الله عنها كانت في حصن بني حارثة
يوم الخندق وكان من احصن حصون المدينة انتهى

وفي سيرة ابن سيد الناس وغيرها انه صلى الله عليه
وسلم امر بالنساء والذراري ان يجعلوا في الاطام
انتهى وخبر حفره صلى الله عليه وسلم الخندق على
المدينة اشهر من ان يذكر وكان حفره باشارة من سلمان
الفارسي رضي الله عنه ففي سيرة ابن سيد الناس
وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه
خبر الاحزاب ندب الناس واخبرهم خبر عدوهم
وشاورهم في امرهم فاشار عليه سلمان بالخندق فاعجب
ذلك المسلمين وفي السيرة الحلبية ان سلمان رضي الله
عنه قال يا رسول الله انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا
الخيل خندقنا علينا فاعجبهم ذلك فضرب على المدينة
الخندق انتهى وباشر صلى الله عليه وسلم العمل
فيه بنفسه ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب
قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى
الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى

وارى عن الغبار جلدة بطنه وروى النسائي عن
البراء رضي الله عنه قال لما أمرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول
فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول
وقال بسم الله فضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال
الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر إلى
قصورها الحمر من مكاني هذا قال ثم ضرب أخرى
فقال بسم الله وكبر ثلثا وقال الله أكبر أعطيت
مفاتيح فارس والله إني لأنظر قصر المدائن وإلى القصر
الأبيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر
وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأنظر باب
صنعا قال أبو عبد الله ابن الحاج في مدخله
ومن التحوط في الثغور حفر الخنادق والاحتساب
في حفرها مستنين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وقطعه الحجر الذي منه أعيت الصحابة الحيلة في كسرها
انتهى قلت ومن فرط فيها استهدفوا لأمر عدوه وغرارا
بكثرة جنده فقد مكن عدوه من تبييته وعرض نفسه للهزيمة
والمعرة ذكر في المنتخب المختار أنه لما تولى المهلب
بن أبي صفرة قتال قطري أحد رؤوس الخوارج وأبطالهم
كان يحذر من البيات حذرا شديدا وبعث إلى عبد
الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان قد نزل في عشرة
آلاف بمعزل من عسكر المهلب يا ابن أخي خندق على
نفسك وأصحابك فإني أعلم بأمر الخوارج فلا
تغتر فبعث إليه عبد الرحمن أنا أعلم بهم منك وهم أهون
علي من ضرطة جمل فبيته قطري فقتل من أصحابه خمسمائة
وفر عبد الرحمن لا يلوي على شيء فقال فيه الشاعر
تركت ولدانا ترى نحورهم * وجئت مسرعا يا ضرطة الجمل
ندبا في أخذ السلاح عند اشتداد الخوف المجوز لصلاته
قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة

منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك
وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون
عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح
عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا
مهينا والأمر بأخذه في هذه الآية الكريمة للوجوب
بدلالة تعقيبه برخصة وضعه والمأمور به المصلون
في ظاهر القولين خصصا به لأن حالة الاشتغال بالصلاة
مظنة وضعه فيغيبا من الحارسين وشمول الأمر بحالة
غير الصلاة بالأولى ورخص في وضعه للمطر لأنه
مما يثقل العدو ويمنعه من خفة الحركة مع ما في حمله
في هذه الحالة من المشقة وللمرض لمكان العذر وفي ذلك
إشارة إلى أن العزيمة حمله لكل من تمكن منه ولو بمشقة
كالذي حكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه في جزيرة

في بحر الروم فأصابه مرض اشتد به فقال لأصحابه
أوتروا إلى القوس فقبض عليها وتوفي وهي في كفه
والسلاح ما يعد للحرب من آلة الحديد والسيف وحده
يسمى سلاحا وجاءت فيه أخبار روى الخطيب عن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إن الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله
ملائكته وهم يصلون عليه ما دام متقلده وروى أيضا
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الرجل
متقلدا سيفه تفضل على صلاته غير متقلد سبعمائة ضعف
وروى ابن البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تقلد سيفا في سبيل
الله قلده الله يوم القيامة وشاحين من الجنة لا تقوم
لهما الدنيا وما فيها من يوم خلقها إلى يوم يفنيها
وصلت عليه الملائكة حتى يضعه عنه وإن الله ليباهي
ملائكته بسيف الغازي ورمحه وسلاحه وإذا باهى الله

ملائكته بعبد من عباده لم يعذبه بعد ذلك وروى
الحاكم عن الزبير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من يأخذ هذا السيف بحقه قيل وما حقه
قال ان لا يقتل به مسلما ولا يفر به عن كافر وروى
ابو بكر في الغيلانيات وابن عساكر عن يزيد بن شجرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السيوف مفاتيح
الجنة وروى ابو يعلى عن الحسن مرسلا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اردية الغزاة السيوف وسا
قاعدة الرمي ما روى الطبراني عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
ليدخل بالسهم الواحد الجنة صانعه يحتسب فيه والممد
به والرامي به وما روى احمد وابو داود والترمذي
والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليدخل بالسهم
الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير

والرامي به ومنبله وهو بضم اوله وكسر ثالثه اسم فاعل
من انبله اذا ناوله النبل وهي السهام العربية وهي لطاف
ليست بطوال كسهام النشاب قال الامام الخطابي
في معالم السنن وقد يكون ذلك على وجهين احدهما ان
يقوم مع الرامي بجنبه او خلفه ومعه عدد من النبل
فيناوله واحدا بعد واحد والوجه الآخر انه يرد عليه
النبل المرمي به قال وقد روي من طريق آخر والممد
به واي الامرين فعل فهو مراد به انتهى وقوله يحتسب
في صنعته الخير اي يطلب في عملها من اجرته او ثمنها
وجه الله ويحتسب ثوابه بالذي يعملها او يقصد
من اجره مثله كما تشير اليه كلمة في اذ الظرفية لاقتضائها
استيعاب الظرف وبذا استوجب الجنة المناول له فالمتبرع
عن اجر مثله بمقتضى كرمه تعالى اولى فان قلت
فالعدد البارودية هل تكون كالسهام في ذلك قلت
نعم بالاولى لانها اعظم موقعا واشد نكاية بالكفـ

كلمة ومؤنة وكل احد يمكنهم ان ترغيب وعد الاثابة
بالجنة ما تقصد منه الى ذات التعميم بل الى عايدته والاقوى
منه عايدة منا دمن نصه بالدلالة الاولويه الفصل
الثاني عشر في حيل الكذب روى البخاري ومسلم
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم الحرب خدعة وروى الترمذي
عن اسماء بنت يزيد رضى الله عنها انها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب الا في ثلاث
رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب في الحرب فان
الحرب خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما
وروى ابو داود عن كعب بن مالك رضى الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد غزوة
ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة معنى التورية
ان يريد الانسان الشيء ويظهر غيره والمراد انه كان
يعرض بذلك من غير تصريح لما روى البخاري في الادب

المفرد

المفرد والبيهقي والطبراني عن عمران بن حصين رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب اي سعة وفسحة تمنع عن القصد
اليه فهذا محل تورية صلى الله عليه وسلم لا التصريح
بخلاف ما قصد اليه وان قال بالاباحة جمع من العلماء
في الثلاث المذكورة فيما رويناه من حديث الترمذي
وما يضاهيه كدفع الظالم واحياء الحق وعليه
بعض مشايخ مذهبنا اخذا بظاهر الخبر فانه غير لائق
بمقامه صلى الله عليه وسلم ومن مشايخنا من حمل
خبر الثلاث المستثناة على المعاريض فقصر الرخصة بما اذا
قصد من ظاهر اللفظ معنى يحتمله بحسب اللغة كان
تقول لعدوه مات ملككم وينوي ملكا كان لهم في الازمنة
السابقة وصح كراهة ما خلا عن ذلك منها قلت
والاوجه عندي اختلاف ذلك بحسب المقام والاحكام
فان العدو قد يدقق البحث فيضيق مجال التعريض

وليس كل احد يحسنه وغير المعاين انما يفيدان
فيها منعة لمن تمكن منها فلا يفيد الفرع في حق من لم يتمكن
فهو عندي محمل خبر الثلاث المستثناة والخدعة من الخدع
بالفتح الظاهر واضافه خلافه تقال بفتح فسكون
وبضم فسكون وبضم ففتح قال المطرزي في المغرب
قال ثعلب والحديث الثلاث الثلاث فالفتح على ان
الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة والضم على انها
آلة الخداع واما الخدعة بضم ففتح فلانها تخدع
اصحابها لكثرة وقوع الخداع فيها وهي بمعنى
والاول افصح لانها لغة النبي صلى الله عليه وسلم
انتهى ولما كان في الحديث اشارة على استحباب
استعمال الرأي والحيل في الحرب قال ابو الوليد الطرطوشي
في سراج الملوك واعلم ان الحرب خدعة عند
جميع العقلاء واخرها يجب ركوبه في الكتاب ومثل الحروب
بعضها على بعض فليبتدر بتصريف الحيلة في نيل الظفر

قال فاول ذلك ان يبث جواسيسه في عسكر عدوه
يستعلم اخباره مع الساعات ويستعلم رؤسائهم وقوادهم
وذوي الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا
ويلوح اليهم بضروب الخدعة ويقوي اطماعهم في ان
ينالوا ما عنده من الهبات الجزيلة والولايات السنية
وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا والتحف وسألهم ان
يغدروا بصاحبهم واما اعانوه وقت اللقاء وينثني عن
السنتهم كتبا مدلسة اليه ويبثها في عسكره ويوهم
بينهم بما في السفير من ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه
الاموال والحيل والقتال تنفق فيه الارواح والرؤس
ووجوه الخداع فيه لا تحصى والحاصل فيه ابصار
العواقب قال ولله در المهلب لما كتب اليه الحجاج يستعجله
في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون
الرأي عند من يملكه لا عند من يبصره قال وقاتل المختار
لزيد بن انس حين ولاه الجزيرة وامره بقتال عبيد الله

ابن زياد امض الى عدوك برأي غير مستبد وبحزم غير
متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع
في هلاك ولا ييأس بغلبك واستخر الله تعالى قبل اقدامك
توفق قال واوصت أم الديان الحجبية ابنها الفتاك
وهو من اشد العرب يابني لا تنشب في حرب اذا وقفت بنزالك
حتى تعرف وجه الهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا
وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا يئست منها واهل الشدة
ما كانت الحيلة مدبرة لها والخلاص من تجارب خلة الذيب
وطرقها ضروب الغلب فان الغلب انما هم الذين اعتادوا التقدم
عدو الشدة قال وقال ابو الحسن يا مكان يجربنا احد لك
لابنه يابني كن بحيلتك اوثق منك بشدتك وبحذرك
اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المتهور غنيمة
الحذر قال ومن اعظم المكائد في الحرب الكمنا ولا يحصى
كثرة كم من عسكر استبيحت بيضته وقتل عظمه بالكمنا
وذلك ان الفارس لا يزال على حميته في الدفاع وحمى الذمار

حتى يلتفت فيرى وراءه بلا ضمن ويسمع ضرب الطبل
فيحث همته خلاص نفسه قال وكثير همات
وراء ذلك وعليه مدار الحروب في اصطناع الشجعان
وانتقاء الابطال فاصطنع ذوي البسالة والاقدام
والجراة ولا تعلمك الايثار وبعد عليك ان يكثروا
ولا انس بيت الشاعر ٭

والناس الف منهم كواحد ٭ وواحد كالالف ان امر عنا

قال بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة
الاف وسنحكي لك من ذلك ما يقضى منه العجب
فهم في الجيش واذ قالوا كالانفحة في اللبن ثم ذكر انه لما
التقى المستعين بن هود وهو احد ملوك الاندلس
مع الطاغية ابن رذمير النصراني على مدينة وشقة في ثغر
بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتقابلين كل واحد منهما
يلاحق عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل قال فخرج
رجل ممن حضر الوقعة من الاجناد قال فاذا دنا الملتقى

قال الطاغية لمن يثق بعقله وممارسته للحروب والرجال
استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما ۞
يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع
فقال فيهم فلان وفلان الى ان عد سبعة رجال
قال انظروا الآن من في عسكرنا من الرجال المعروفين ۞
بالشجاعة ومن غاب منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية
رجال لا يعرفون فقام الطاغية مسرورا وهو يقول
يا بياضك من يوم ثم نشبت الحرب بينهم فلم تزل
المصابرة بين الفريقين لم يول احدهم دبره ولا تزحزح
عن مكانه حتى فني الثلث العسكرين ولم يبق واحد منهم قال
فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة
ودخلونا مدخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا
بيننا وبين اصحابنا وصار ورائنا فكان ذلك سبب
هزيمتنا ولم تتم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة منهم
فاشار مقدموا العسكر على السلطان ان ينجو بنفسه ولكن

المسلمين

المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة
قال فانظروا ذا الفهم والبصيرة من جمع يحتوي على
اربعين الف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين
الا خمسة عشر رجلا ويعتبر بضمان العلج بالظفر
واستبشاره بالغنيمة لما زاد في ابطاله رجل واحد قال
وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله
يحكي قال بينا المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ
وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد ملؤوا السهل
والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن
المصحفي فقال كيف ترى هذا العسكر ايها الوزير قال
ارى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور
لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من اهل
الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصحفي فقال له المنصور
ما سكوتك اليس في هذا الجيش الف مقاتل قال لا

قال فتعجب المنصور ثم عطف عليه فقال انهم خمسمائة
رجل من الابطال قال لا فخنق المنصور ثم قال انهم
مائة رجل قال لا قال انهم خمسون قال لا فسبه
المنصور واستخف به وامر به فاخرج على اقبح صفة
قال فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصافت
الجماعات فبرز علج من الروم بين الصفين شاكي في سلاحه
يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون
وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرج
بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه
رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر
ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل
فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت
تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفي فبعث اليه
المنصور فحضر فقال له المنصور اما ترى ما يفعل هذا العلج

الكلب منذ اليوم قال بلغني جميع ما جرى قال فما الحيلة فيه
قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الان
ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور
على فرس قد نشرت اذناها هزالا وهو رجل قريبة ما بين
يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع قال
له المصحفي الا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد
رأيته فماذا تريد فيه قال له اريد راسه الان قال نعم
فحل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا
ساعة فلم ير الناس الا المسلم شادا اليهم يركض و لا
يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل راس العلج فالقى الراس
بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال
عنيت لك انهم ليس في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة
ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد
ابن المصحفي الى منزله واكرمه فصل ثم خشي
ان ختم وهو ضبط الرجل امره واخذه بالثقة فانه

في الصحاح وقال غيره هو جودة الرأي في الحذر
وقيل الحزم أن تستشير أهل الرأي ثم تطيعهم وأحسن ما
فسر به ما جاء برواية أبي الشيخ في كتاب الثواب بإسناد
حسن عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال الحزم سوء الظن أي بمن يخاف شره بأن يدع العمل
بمقتضى ذلك من كمال التوقي من شره والأصل فيه
قوله تعالى خذوا حذركم وقد مر لنا من بيانه ما فيه
كفاية فمن أهم ما يعتني به رئيس الجند ومدبره أن
يعمل فكره ويجيل باله في مداخل المكيدة وأسباب المضرة
فيعد لها عدتها ويتحرز من غائلتها أقصى ما يمكنه
من ذلك لأنه قيل من تحرز من المكائد قبل حلولها لم
يتضعضع منها عند نزولها   وقال الشاعر

يمثل ذو اللب في نفسه ※ نوائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه ※ لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يفضي إلى آخر ※ فصير آخره أولا

وذو الجهل يأمن أيامه ※ وينسى مصارع من قد خلا
فإن دهمته خطوب الزمن ※ ببعض نوائبه أعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ※ لعلمه الحزم أن يجملا
وقيل شتت بسديد رأيك ※ شمل مكائد أهل بغيك
وتخشى من فارس

الرأي شجاعة الشجعان ※ هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ※ بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ※ بالرأي قبل تطاعن الأقران

ولهما رواية ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن العاص
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثه في غزوة ذات السلاسل فسأله أصحابه أن يوقدوا
نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر فكلمه فقال لا يوقد أحد
منهم نارا إلا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزمهم
فأراد أن يتبعهم فمنعهم فلما انصرف ذلك
الجيش ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فشكوه إليه فقال يا رسول الله إني كرهت أن آذن

لهم ان يوقدوا نارا في عدوهم فانهم تكرهت ان
يمنعوهم فيكون لهم مدد فيقطعها عليهم محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم امره وروى عباس الربعي
في جزئه عن علي بن ابي ربيعة الاسدي قال جاء رجل
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه بابن له بدلا من
بعث فقال علي لرأي شيخ احب الي من مشهد شاب
وروى ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن
العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها
مفروغا منها هم ان يسكنها وقال مساكن قد كفيناها
فكتب الى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك فسأل عمر
الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا امير
المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لا احب
ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء
ولا صيف فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية
الى الفسطاط وروى ابن حبان في صحيحه ان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قال للهرمزان اما اذ فتني بنفسك
فانصح لي وذلك انه قال له تكلم لا بأس فامنه
فقال الهرمزان نعم ان فارس اليوم رأس وجناحان
قال فاين الرأس قال نهاوند مع بنداد قال فان
معه اساورة كسرى واهل اصفهان قال فاين
الجناحان فذكر الهرمزان مكانا نسيه فقال الهرمزان
اقطع الجناحين يوهن الرأس فقال له عمر رضي الله عنه
كذبت يا عدو الله بل اعمد الى الرأس فيقطعه الله فاذا
قطعه الله عني انقطع الجناحان وكانت قصة الهرمزان
ما رواه البيهقي عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال حاصرنا تستر فنزل الهرمزان على حكم عمر فقدمت
به على عمر فقال له عمر تكلم قال كلام حي ام كلام
ميت قال تكلم لا بأس فتكلم فلما اراد ان يقتله
قلت ليس الى قتله سبيل قد قلت له تكلم لا بأس فقال
عمر ارتشيت واصبت منه فقلت له والله ما ارتشيت ولا اصبت

منه فقال لتأتين على ما شهدت به بغيرك أولا بدأن
أبدأ بعقوبتك فخرجت فلقيت الزبير بن العوام وسألته
الهرمزان وفيه له [illegible] صاحب المسطرف فسألا
ما دل على هذا الوجه [illegible] ولما أراد عمر قتل
الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه
بيده واضطرب فقال له عمر رضي الله عنه لا بأس عليك
حتى تشربه قال فقلت لا بأس أمانا يوم أشربه فقال
قاتلك الله أخذت أمانا حتى تشربه فألقى القدح
من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمني قال وكيف
أمنتك قال قلت لي لا بأس عليك حتى تشربه
وقلت لا بأس أمانا فقال عمر قاتلك الله
أخذت أمانا ولم أشعر [illegible] [illegible] مشاورة
قوله تعالى وشاورهم في الأمر قال الإمام الماوردي
وفي أمره صلى الله عليه وسلم بالمشاورة أربعة
أقاويل أحدها أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر

لهم الرأي الصحيح قاله الحسن ما تشاور قوم قط إلا هدوا
لأرشد أمورهم والثاني أنه أمره بمشاورتهم تألفا
لهم وتطييبا لأنفسهم قاله قتادة والربيع والثالث
أنه أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل قاله الضحاك
والرابع أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه
فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيا قاله سفيان
ثانيا وعن ابن عباس هذه المشاورة على المشاورة عند
القتال فأمره بمشاورتهم ليبين لهم الصواب فيفعل حسبما
من ظاهرها وجعل مشاورته لهم مشورة منه عليهم حتى
قال الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره وأولى الأقوال
بالصواب في ذلك أن يقال إن الله عز وجل أمر نبيه صلى
الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر
عدوه ومكائد حربه تألفا منه بذلك من لم تكن
بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة
الشيطان وتعريفا منه أمته مأتى الأمور التي حزبهم

من بعده ومطالعتها لينظر رأيه في ذلك عند انزال الكرب
نازلة بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته
صلى الله عليه وسلم يفعله فأما النبي صلى الله عليه وسلم
فإن الله كان يعرفه مطالب وجوه ما يخفى من
الأمور بالوحي وإلهامه إياه صواب ذلك وإنما أمرهم
فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادف
وتابع الحق وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى
ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم
روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت
أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن إسحاق في سيرته عن الزهري قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن بن حذيفة
بن بدر الفزاري وإلى الحارث بن عوف المري وهما قائدا
غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا
بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبا

الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة
في ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك
لهما واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه
أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه
لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني
قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم
من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم فقال له
سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم
على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه
لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا
أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا
بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من
حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا
وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك

فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا
علينا وفي هذه القضية دليل على جواز مصالحة الكفار
بمال يدفع إليهم إذا خيف الهلاك على المسلمين وبدون
ذلك لا يجوز لأن فيه إعطاء الدنية ولحوق الذل لهم
وفيها اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة أهل
التجربة وممارسة شدائد الحرب فإن الأنصار قد عرفوا
بذلك في الجاهلية والإسلام والسعدان مع ما عرف
من دينهما ومناصحتهما لله ورسوله قد تميزا من غيرهم بجودة
الرأي وثبات القلب فكانا سيدي قومهما كان سعد بن
معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج قال
أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وفيهما جاء الخبر المأثور
أن قريشا سمعوا صائحا يصيح ليلا على أبي قبيس فإن يسلم
السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف قال
فظنت قريش أنهما سعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن هذيم
من قضاعة قال فلما كانت الليلة الثانية سمعوا صوتا

على أبي قبيس ۞ أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ۞ ويا سعد
سعد الخزرجين الغطارف ۞ أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا ۞
على الله في الفردوس منية عارف ۞ فإن ثواب الله للطالب
الهدى ۞ جنان من الفردوس ذات رفارف ۞ قال
فقالوا هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة أقول
ينبغي أن لا يستشار في عظائم الأمور إلا من يوثق بدينه
وعقله وحنكته التجارب قال بعض الحكماء كفى بالتجارب
تأدبا وبتقلب الأيام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل
والغرة ثمرة الجهل ولذلك حمدت آراء الشيوخ حتى
قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار لا يطيش
لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ ۞
فإنهم إن عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الأيام حنكة
وتجربة قال الشاعر إذا طال عمر المرء في غير آفة
أفادت له الأيام في كرها عقلا ۞ وفي استشارته صلى
الله عليه وسلم أصحابه مع ما خصه به من كمال العقل

والتأييد الرباني اسوة لغيره من دونه امته في الاستشارة
من دونهم قال الامام ابو الوليد الطرطوشي في سراج
الملوك اعلموا ان المستشير وان كان افضل رأيا من المشير
فانه يزداد به رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوءا فلا
يقع في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس
منك الحاجة الى رأي غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة
فانك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به وان
اردت الذكر كان احسن الذكر واحسنه عند ذوي
الالباب ان يقولوا لا ينفرد برأيه دون
ذوي الرأي من اعوانه ولا يمنعك عن ذلك علمك بنفاذ
رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة الا ترى
ان ابراهيم عليه السلام امر ابنه بعزمة لا مشورة
فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفس
على الاستشارة فيه فقال لابنه يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من احسن

ما رسم في هذا الباب قال وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان
كالخيطين والثلاثة الآراء لا يكاد ينقطع قال وروي
ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا نملك
علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لا نملك علينا من
لا يشاور وقال ايضا قال المأمون لطاهر بن
الحسين صف لي اخلاق المخلوع يعني اخاه الامين
فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه
ما تأباه همم الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ولا يقبل
مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته ولا يردعه
ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال يجمع
الكتائب بالتدبير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون
لذلك ما حل محله اما والله لو ذاق لذاذة النصائح
واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوته
ما ظفر به قال وقال بعض ملوك العجم لا يملك

شدة باسك في باطنك ولا علو مكانك في نفسك
من ان تحيج الى رايك راي غيرك فان احمدت اجبت
وان اخفقت عذرت فان ذلك خصال احمدها وان وافق
رايك راي غيرك ازداد رايك شدة عندك وان
خالفه عرضته على نظرك فان رايته معتليا اليا رايته
قبله وان رايته متضعا استغنيت عنه وذلك ان يجز ذلك
النصيحة ممن شاورته وان اخطا ومحضك مودته
وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان
اصبت مستبدا سلبت لذة الاصابة بالسنة الحسد
وقال قايل هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان احسن
واذا شاورت فاصبت احمد الجماعة رايك لانهم شركوك
جميعا وان اخطأت حمل الجماعة خطاك لانهم عن
انفسهم يكافحوا قال وفي حكم الهند من التمس من
الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند
المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطا الراي وازداد

مرضا وحمل الوزر انتهى وذكر صاحب المستطرف
فيه ان ملوك اليونان والفرس كانوا لا يجمعون
وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون
الواحد منهم من غير ان يعلم الاخر به لمعان شتى منها
لئلا يقع بين المشاورين منافسة فتذهب اصابة الراي
لان من طباع المشتركين التنافس والطعن من بعضهم على
بعض وربما سبق احدهم بالراي الصواب فحسده
الاخرون فعارضوه وفي اجتماعهم ايضا على سر المشاورة تعريضا
للسر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر
الملك على مقابلة من اذاعه للابهام فان عاقب الكل
عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم الحق الجاني بمن لا ذنب
له انتهى ومما يتاكد في حق رئيس الجند وقايده
من الحزم ان يخفي المسالك التي هو يسلكها وراياته
ولا يعلم غيبته ببلد ولا طا... وليبدل زيه ويخفي مكانه
حتى لا يلتمس عدوه غرته واذا كانت الحرب فلا يشف

في النفر اليسير قدمه خارج من عسكره فان عيون
عدوه قد اذكيت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون
جيوش افريقية عند فتحها كما حكى ذلك الامام الذهبي
فقال في تاريخه دول الاسلام قال مصعب الزبيري
حدثنا ابي عن الزبير بن حبيب قال قال عبدالله بن الزبير
هجم علينا جرجير يعني ملك افريقية في مائة وعشرين
الف فرأيت غرة من جرجير بصرت به خلف جيشه
على برذون اشهب معه جاريتان تظللان عليه بريش
الطواويس بينه وبين عسكره فلاة من الارض فاتيت
اميرنا ابن ابي سرح فندب لي فرسانا فاخترت منهم ثلاثين
وقلت لهم اثبتوا هنا وحملت على جرجير وقلت احموا
ظهري فخرجت الى جرجير وهو يظن اني رسول اليه فلما
دنوت منه عرف الشر فوثب على برذونه وساق موليا
فادركته فطعنته فسقط ثم ضربته بالسيف ونصبت راسه
على رمحي وكبرت وقد ركب المسلمون فحملوا وركبنا اكتاف

العدو وتمزقوا انتهى وحكى الامام الطرطوشي في سراجه
فقال ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد
الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية حين جبوا
في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم
جبل طارق وهم في الف وثمانية رجل فطمعت الروم
فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدمير استخلفه
لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى لذريق يطالعه
ان قوما لا ندري امن الارض هم ام من السماء قد وصلوا
الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك فاتاه لذريق
في تسعين الف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث
الرومي مولى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام
اشد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام
فحضهم على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في امالهم
ثم قال اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس
الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيئا فافعلوا مثله

فوالله لا اقصدن طاغيتهم فاما ان اقتله واما ان اقتل
دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف هيئة لذريق
وعلامته ثم حمل مع اصحابه عليه حملة رجل واحد فقتله
الله تعالى لذريق بعد قتل ذريع في العدو ومحى الله المسلمين
فلم يقتل منهم كبير شيء وانهزم الروم فاقام المسلمون
يقتلونهم ثلاثة ايام واحتز طارق رأس لذريق
وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد
الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة
ولم تكن لهم همة غير المائدة التي تذكر اهل الكتاب
انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه
ابن اخت لذريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائة الف
لما فيها من الجواهر التي لم ير مثلها [illegible] الى الوليد ومثل
هذه الحيلة قتل الب ارسلان ملك الترك ملك الروم
وقبضه وقتل رجاله وابادهم جمعه وكانت الروم قد تجمعت
جيوشا لم يمكن ان يجتمع لها بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم

ست مائة الف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة
وكراديس يتلو بعضها بعضا كالجبال الشوامخ لا يدركهم
الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع
والسلاح والمجانيق والالات المعدة لفتح الحصون
في الحرب وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر
والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد
دارت لهم وان نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد
المسلمين فتواترت اخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت
لها ممالك الاسلام فاحتشد للقائهم الب ارسلان التركي
وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة
اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج نحوهم فلم يزل
العسكران يتدانيان الى ان عادت طلائع المسلمين
الى المسلمين وقالوا للب ارسلان غدا يتراءى الجمعان
فبات المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم
الا الذي خلقهم وما هم في المسلمين الا اكلة جائع فبقي

المسلمون واجتهدوا في جهادهم فلما أصبح صباح يوم
الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة
العدو وقوتهم والآلة فأمر البارسلان أن يعد المسلمين
فعدوا اثنى عشر الف تركي واذا هم منهم كالرقمة في ذراع
الحمار فجمع ذوي الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة
على المسلمين والنظر في العواقب فاستشارهم في استخلاص
صواب الرأي فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء
فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام واهله
ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان بسم الله نحمل
على القوم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام امهلوا
فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون
لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت
الافياء وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا لنا وصلينا نحن
علمنا أمرنا فصبروا الى ان زالت الشمس ثم صلوا ودعوا
الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم بالصبر

وان يوهن عدوهم وان يلقي في قلوبهم الرعب وكانت
البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلمها منه
وفرسه وزيه ثم قال لجماعته لا يتخلف منكم احد حتى
يفعل فعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب
بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد
الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها وخلصوا اليه
وقتل من حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان
الروم قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا
وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون
اموالهم وغنائمهم واحضر ملك الروم بين يدي
البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع
بي لو اخذتني قال وهل تشك انى كنت اقتلك فقال البارسلان
انت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه فيمن يريد
فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادى عليه من يشتري ملك
الروم وما زالوا يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين

وناد وا عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع احد فيه شيئا
حتى باعوه من انسان بكلب فاخذ الذي كان تولى ذلك
من امره الكلب والملك وحملهما الى البابا وقال قد
طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيئا
الا رجل واحد دفع لي فيه كلبا قال لقد انصف لان الكلب
خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه امر
بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم
وكحلته بالنار انتهى قال صاحب الحلل السندسية
في الاخبار التونسية وذكر ابن اسحاق وغيره ان
اهل اليمن لما طال البلاء عليهم بغلب الحبشة خرج سيف
ابن ذي يزن يطلب النصرة وسار حتى اتى النعمان بن المنذر
وهو عامل كسرى على الحيرة وما والاها فشكى اليه امر الحبشة
فادخله على كسرى وقال ايها الملك غلبنا على بلادنا ٭
الاغربة فقال كسرى واي الاغربة الحبشة والسند
فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك

قال بعدت منا بلادك مع قلة خيرها فلم اكن لاورط
جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازه
بعشرة الاف درهم وكساه كسوة حسنة فلما قبض
ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ
ذلك الملك فقال ان لهذا لشانا فبعث اليه فقال له عمدت
الى حباء الملك تنثره للناس فقال وما اصنع بهذا ما جبال
ارضي التي جئت منها الا ذهب وفضة يرغبه فيها فجمع
كسرى مرازبته فقال ما ترون في هذا الرجل وما جاء له
فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا للقتل فلو انك
بعثتهم معه فان يهلكوا كان الذي اردت بهم وان يظفروا
كان ملكا ازددته فبعث كسرى معه من كان في سجونه
واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم ومن افضلهم حسبا
وبيتا فخرجوا في السفن ووصلوا ساحل عدن فخرج الى
سيف وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي مع ٭
رجلك حتى نموت جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت

ثم تقاتلوا مع الحبشة وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة
فلما تواقف الناس على مصافهم قال له وهرز اروني
ملكهم فقالوا ترى رجلا عاقدا على راسه تاجا بين عينيه
ياقوتة حمراء قال نعم قال ذاك ملكهم قال انى سارميه
فان رايتم اصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني قد اخطأت
الرجل وان رايتم قد استداروا ولاثوا به فقد اصبت الرجل
فاحملوا عليهم ثم اوتر قوسه وكانت فيما يزعمون
لا يوترها غيره لشدتها وامر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه
فصك الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت النشابة بين عينيه
حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة
ولاثت به وحملت عليهم الفرس فانهزموا وهربوا في كل
وجه واقبل وهرز ليدخل صنعاء انتهى فانظر ماذا يأتي
على الملوك اذا عرفوا الحروب من الحيلة والقصد
بالمكيدة [illegible] ينخرط في هذا السلك [illegible] صاحب
بشاير اهل الايمان بفتوحات آل عثمان ان السلطان

مراد الاول ابن السلطان اورخان بن السلطان عثمان
عليهم الرحمة والرضوان لما اظهره الله على كفرة
اللاز وشتت جمعهم واكثر القتل فيهم سار بين القتلى
فقام اليه نصراني من بينهم على اشنع حال مجروح
ملوث بالدماء فاظهر انه يريد تقبيل ركاب السلطان
فرده عنه فالح واظهر ان عنده كلاما يقوله للسلطان
ففرق له وامر بتخليته فلما لصق بالركاب ضرب السلطان
بخنجر مسمومة كانت معه فاصاب خاصرته فقتل
اللعين من حينه وتألم لذلك السلطان ومات الى
رحمة الله تعالى [illegible] فاللازم اتقاء الخدعة من
اهل الفساد والشرور وكل من جربت خيانته وعرفت
قلة دينه وفساد طويته فقد قال الله تعالى في امثالهم
من اهل النفاق ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم

الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين
قال الإمام الشافعي في أماليه غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فغزا معه بعض من يعرف نفاقه فانخزل
يوم أحد عنه بثلاثمائة ثم شهد معه يوم الخندق
فتكلموا بما حكى الله عز وجل من قولهم ما وعدنا الله
ورسوله إلا غرورا ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم
بني المصطلق فشهدها معه منهم عدد فتكلموا بما حكى
الله عز وجل من قولهم لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل ثم غزا غزوة تبوك فشهدها معه
قوم منهم ليلة نفروا به ليلة العقبة ليقتلوه فوقاه
الله عز وجل شرهم وتخلف آخرون منهم فيمن بحضرته
ثم أنزل الله عز وجل في غزاة تبوك أو منصرفه عنها
من أخبارهم فقال ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة
الآية قال فأظهر الله عز وجل لرسوله صلى الله
عليه وسلم أسرارهم وخبر السماعين لهم وابتغاءهم

أن يفتنوا من معه بالكذب والإرجاف والتخذيل لهم فأخبر
أنه كره انبعاثهم فثبطهم إذ كانوا على هذه النية كان فيها
ما دل على أن الله عز وجل أمره أن يمنع من عرف بما عرف به
من أن يغزوا مع المسلمين لأنه ضرر عليهم ثم زاد في بيان
ذلك بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
إلى قوله فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا
إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين
قال فمن شهر بمثل ما وصف الله عز وجل المنافقين
لم يحل للإمام أن يدعه يغزو معه [illegible]
وهو من الظاهر البين الذي لا يحتاج فيه إلى خلاف
ويلتحق بهم في ذلك الجبناء فإنه لا خير في استصحابهم
إذ ربما كانوا سبب الفشل والهزيمة ولا يغتر بنصائحهم
في الصحة فإن ذلك معروف من حالهم وقد قال الإمام
وكنية لبسها التقية [illegible] حتى إذا أتيت تقلبها يرى
[illegible] من بابه يدخل [illegible]

ما كان ينفعهم فقال لسانهم ⁂ وقلت دون حليلهم لا تبعد

وحكى عبد القادر السلاوي في طبقاته ان اسلم بن زرعة

عبأ جيشا عظيما ليقاتل به الخوارج فلما رآهم لم يقاتلوا وجعلوا

يقبلون اليه قال لهم عزمتم فأراد الله بكم وضرب بحجر في

اصحابه وانصرف عنهم قال ولما هزمه مرداس قالت

شاعرهم واسلم بن زرعة في ابيات

أألفا مؤمن منكم زعمتم ⁂ ويهزمهم بآسك اربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ⁂ ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك ⁂ على الفئة الكثيرة ينصرونا

وحكى صاحب المستطرف فقال وقع في بعض المماليك

حريق فوثب خادم بابنه ليلقيها فسبقا للخادم خالب

من الدهش فقال يا طالب [illegible] عرضت

ناسيلت كيف طالت قال ابو الوليد الطرطوشي

في سراجه اعلم ان الجبن مقتلة والحرص ذلة والجبان ضعيف

والجبان يعين على نفسه عدو ابيه وامه وصاحبته وبنيه

والشجاع يحمي من لا يناسبه ويلي حال الجار والرفيق

بمهجته والجبان يخاف ما لا يحس به والجبان حتفه من فوقه

انتهى وقال ايضا اعلموا ان من اتم مكايد الحرب اذكاء

العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار

السرور واماتة الفزع والاحتراس من العدو وان لا تخرج

هاربا الى القتال ولا تضيق امانا على مستأمن انتهى

[illegible]

روى الامام احمد باسناد رجاله ثقات والبزار والطبراني

عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ان هذا الامر في قريش ما اذا استرحموا رحموا

واذا حكموا عدلوا واذا قسموا اقسطوا فمن لم يفعل ذلك

منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

لا يقبل منهم منه صرف ولا عدل فبين صلى الله عليه وسلم

بقاء دولتهم ببقاء هذه الخلال الثلاث فيهم التي هي رحمة

من استرحمهم من ضعفاء رعاياهم وعدلهم في الاحكام

الشرعية وتفرقتهم مال الله بالقسط أى العدل بايصال
كل من له حق فيه الى حقه ومن حكم الغاية ان يخالف
ما بعدها ما قبلها فدل الخبر الكريم ان قسوة القلب
على الضعفاء والجور في الاحكام الشرعية ومنع
الحقوق من مستحقيها والايثار بها لمن لا يستحق من اسباب
خراب الملك وزوال الدولة وقد تحقق ذلك من الخلفاء
العباسية في اخر الامر فكانوا يبذلون الاموال العظيمة
للمغنين والشعراء واهل اللعب والبطالة واهملوا الرعية
وركنوا الى اللذات واتباع الشهوات كما يعلم ذلك من
سيرهم في الكتب المطولة ككتاب الاغاني لابي الفرج
الاصفهاني فسلط الله عليهم مماليكهم فاستولوا على
ممالكهم ولم يبق لهم من الخلافة الا الاسم بحيث كانوا
يتصرفون فيهم بالعزل والقتل ثم كان عاقبة ذلك
ان سلط عليهم طاغية التتار فاباد ملكهم ومزق شملهم
ومحى اسمهم من الوجود وعم الضعف والوهن سائر بلاد

الاسلام

الاسلام وجرى في غالبها لاسيما البلاد الشرقية
احكام الكفر ففشت المنكرات واستباح غالب من ينتسب
الى الاسلام المحرمات ولولا ان الله سبحانه تدارك
الاسلام بظهور الدولة العثمانية اعلى الله مقامها
ورفع بالتأييد والنصر اعلامها فجدد القائمون باعبائها
معالم الدين واحيوا ما اندرس من شريعة سيد المرسلين
لأتى الخرق وعم الفساد سائر الخلق لكنه سبحانه حفظ
وسلم ورفع للاسلام بسيوفهم فيما بينت ما تقدم عناية
منه تعالى بهذا الدين وتصديقا لنبيه الصادق الامين
فانه قد روى الحاكم في مستدركه فقال حدثنا عبد الله
بن محمد الدورقي قال حدثنا ابن اسحاق الامام قال
حدثنا عبيدة بن عبد الله الخزاعي قال حدثني الوليد بن
المغيرة قال حدثني عبد الله بن بشر الغنوي قال حدثني
ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش

ذلك الجيش قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه انتهى ففي هذا الحديث الكريم منقبة عظيمة ۞
ومأثرة جسيمة لآل عثمان اختصوا بها من بين سائر ملوك
الإسلام فإنه خرج منه صلى الله عليه وسلم مخرج
البشارة بما أكرم الله به أمته من الفتوحات السنية
وظهور دينه على سائر الأديان والقسطنطينية وإن
غزاها الملوك الأموية والعباسية فلم يتم لهم من فتحها
ما يمكن أن يقال فيه فتح كان ملوكها يصالحونهم مرة
ببذل مال على وجه الصلح وأخرى على بذل الجزية والخراج
وإبقاء تصرفهم فيها ثم ينقضون عليهم مرة بعد أخرى
وإنما الفتح الحقيقي الذي يحق أن يبشر به من كشف الحجب
يأتي بعده من أمته صلى الله عليه وسلم هو الفتح الذي
وقع على يد أبي الفتوح السلطان محمد قدس الله روحه
ونور ضريحه إذ لم تقم بعده للكفار قائمة ولا بقيت
لهم معه كلمة وإنه الأنسب بالسياق في قوله ۞

ولنعم الأمير أميرها فإن إضافته إلى البلد تفيد عموم تصرفه
فيها وهذا لم يقع لأحد من أهل الإسلام قبل أبي الفتوح
عليه سحائب الرحمة فإن كان لفظ أمير قصد منه إلى الشخص
المعين بخصوصه فهو أبو الفتح لا محالة ففيه بشارته صلى
الله عليه وسلم وتقريرا ما أثبته على أبلغ وجه الاختصاص
في معرض البشارة والثناء وإن قصد به إلى الجنس عم ذلك
كل من تولى أمارتها بعده وقام بحق التصرف فيها على منوال
ذلك الإمام الفاتح في قيامه بتنفيذ الأحكام الشرعية
وإجراء العدل والرفق بالرعية والذب عن دين الله والاجتهاد
في إعلاء كلمة الله إلى يومنا هذا وأياما كان ففي منقبة فاخرة
لهذه الدولة العثمانية مد الله ظلال رحمتها ورأفتها على
العباد فعلى القائم منهم أن يعرف حق رتبة شرفه فيجري
على طريقة الأكابر من سلفه فإن بذلك سعادة الدنيا
والآخرة [illegible] الطبراني
بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يرحم الناس لم
يرحمه الله وروى ايضا بسند قوي عن جرير رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لا يرحم
من في الارض لا يرحمه من في السماء وروى البخاري ومسلم
عن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس وروى ابو داود
والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من
في الارض يرحمكم من في السماء وروى احمد والترمذي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت ابا القاسم الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من
شقي وروى [illegible] الخطيب وابن عساكر
والديلمي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من ملك يصل رحمه وذوي قرابته ويعدل في رعيته
الا شد الله ملكه واجزل ثوابه واكرم مآبه وخفف حسابه

وروى

وروى مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق
موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف
متعفف ذو عيال وروى احمد ومسلم والنسائي عن ابن
عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن
يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم
واهليهم وما ولوا وروى الطبراني باسناد حسن عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة وحد
يقام في الارض بحقه ازكى فيها من مطر اربعين صباحا
وروى الطبراني ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الناس عند الله
منزلة يوم القيامة امام عادل رفيق وشر عباد الله منزلة
يوم القيامة امام جائر خرق وروى الحكيم والديلمي وابن

البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من ولي من امور المسلمين شيئا فحسنت سيرته
رزق الهيبة من قلوبهم واذا بسط يده لهم بالمعروف رزق
المحبة منهم واذا وفر عليهم اموالهم وفر الله عليه امواله
واذا انصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا
عدل فيهم مد في عمره رواه ابن ماجة والبزار واللفظ له
عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم من
عباده فان عدل كان له الاجر وكان يعني على الرعية الشكر
وان جار او حاف او ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية
الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة
هلكت المواشي واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة واذا اخفرت
الذمة اديل الكفار او كلمة نحوها رواه البيهقي ولفظه
عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كيف انتم اذا وقعت فيكم خمس واعوذ بالله ان تكون فيكم او

تدركوهن

تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم
علانية الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن
في اسلافهم وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من
السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما بخس قوم المكيال
والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان
ولا حكم امراؤهم بغير ما انزل الله الا سلط الله عليهم من
عدوهم فاستنقذوا بعض ما في ايديهم وما عطلوا كتاب
الله وسنة نبيه الا جعل الله بأسهم بينهم رواه الحاكم
نحوه من حديث بريدة وقال صحيح على شرط مسلم ففي هذا
الخبر الكريم ان القيام بكتاب الله والمحافظة على حدود الشرع
والعدل في الحكم سبب تأمين الفتن والنصرة على العدو
رواه الطبراني باسناد جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدس امة لا يقضى
فيها بالحق ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع رواه
[illegible] الطبراني عن ابن مسعود

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الله تعالى لا يقدس امة لا يعطون الضعيف منهم حقه
روى الامام أحمد بسند جيد عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من
امر الناس شيئا فاحتجب عن اولي الضعف والحاجة احتجب
الله عنه يوم القيامة روى ابو داود والترمذي
عن ابي مريم الجهني رضي الله عنه انه قال لمعاوية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولاه الله شيئا
من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم
احتجب الله دون حاجته وفقره يوم القيامة فجعل
معاوية رجلا على حوائج المسلمين روى الطبراني عن
ابي جحيفة رضي الله عنه ان معاوية بن ابي سفيان ضرب
على الناس بعثا فخرجوا فرجع ابو الدحداح فقال له معاوية
الم تكن خرجت قال بلى ولكن سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثا احببت أن اضعه عندك مخافة ان لا تلقاني

سمعت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس
من ولي عليكم عملا فحجب بابه عن ذي حاجة المسلمين
حجبه الله ان يلج باب الجنة ومن كانت همته الدنيا حرم الله
عليه جواري فاني بعثت بخراب الدنيا ولم ابعث بعمارتها

[illegible]

قال الله تعالى واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم قال الامام ابو حفص النسفي
في تفسيره قوله تعالى واطيعوا الله ورسوله في الثالث
على نصرة الدين وقيل اطيعوا الله في الامر بالقتال
ورسوله فيما يأمركم به حالة الالتقاء من تقدم او تأخر
او كف او اقدام ونحو هذا مما يوجبه تدبير قيادة الجيوش
ولا تنازعوا اي لا تختلفوا والتنازع طلب كل واحد من
صاحبه ان ينزع عما هو عليه فتفشلوا اي تجبنوا قال
الامام البغوي اي تضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم
قال ابو حفص هي ريح النصر قال صلى الله عليه وسلم

قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد
بالدبور وقال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
وقال قتادة ومجاهد ويذهب ريحكم وقال السدي
جرأتكم وحدتكم وقال عطاء جلدكم وقال النضر بن شميل
قوتكم وقال الأخفش دولتكم وقال يمان بن رباب عظمتكم
وقال ابن كيسان ظفركم ورعب عدوكم منكم قال ويعبر
عن الدولة بالريح يقال هبت لفلان ريح إذا جاءت دولته
وقال بعض المتأخرين ۞

إذا هبت رياحك فاغتنمها ۞ فعقبى كل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها ۞ فلا تدري السكون متى يكون

انتهى روى أبو داود عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه
قال شهدت القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس
وتهب الرياح وينزل النصر روى الترمذي عن قتادة
عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال غزوت مع النبي

صلى الله عليه وسلم وكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع
الشمس فإذا طلعت قاتل فإذا انتصف النهار أمسك حتى
تزول الشمس فإذا زالت الشمس قاتل حتى إلى العصر ثم أمسك
حتى يصلي العصر ثم يقاتل قال قتادة كان يقال عند
ذلك تهيج رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم
في صلاتهم

الإمام ابن سيد الناس في سيرته
عن ابن سعد قال أخبرنا الفضل بن دكين قال حدثنا
إسرائيل عن جابر يعني الجعفي عن عامر يعني الشعبي قال
أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين
أسيرا وكان يفادي بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة
يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع
إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا
فهو فداؤه وتعلم فإذا حذقوا بذلك مجيء من حذق الصبي
القرآن والعمل إذا مهروا فيه وروى الحاكم في مستدرك

فقال حدثنا الامام ابو الوليد وابو بكر بن قريش قالا حدثنا
الحسن بن سفيان قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير
عن الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحسن السريانية فقلت لا
قال فتعلمها فانه تأتينا كتب فتعلمتها في سبعة عشر يوما
قال الاعمش كانت تأتيه كتب لا يشتهي ان يطلع عليها
الا من يثق به وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة روى عبيد
بن حميد عن زيد بن ثابت قال قال لي النبي صلى الله عليه
وسلم اني اكتب الى قوم فاخاف ان يزيدوا علي او ينقصوا فتعلم
السريانية فتعلمتها في سبعة عشر يوما وعزاه الحافظ الى عمر بن
عبد الله في كتاب الاستيعاب وروى ابو داود في سننه
فقال حدثنا احمد بن يونس حدثنا ابن ابي الزناد عن ابيه
عن خارجة يعني ابن زيد بن ثابت قال قال زيد بن ثابت امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب يهود وقال
اني والله ما آمن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي الا

نصف

نصف شهر حتى حذقته فكنت اكتب له اذا كتب واقرأ له اذا كتب
اليه دل الحديث الاول على جواز تعلم الكتابة من الكفار بلا
شرط ضرورة لان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم
كان معه جماعة من المهاجرين يحسنون الكتابة ويكتبون
له الوحي فافاد ذلك اطلاق جواز تعلم العلوم الآلية
التي لها منفعة في امر الدين من الكفار فانه اذا جاز تعلم
الكتابة منهم التي يتوسل بعض فيها الى كتابة كلام الله تعالى
وتلاوته وحفظه فبالاولى غيرها كالامور الحربية
التي نحن في بيان الاعتبار بجواز تعلمها منهم مع تمام القدرة
الى ذلك ودلت الاخبار الباقية على جواز تعلم ما اختص
به الكفرة عن معارفهم اذا توقف عليها امر ديني لانه اذا جاز
تعلم اللغة السريانية كما افاده ما رويناه عن الحاكم وابي عبيد
واللغة العبرية كما افاده ما رويناه عن ابي داود والكتابة
بها كما هو ظاهر من تلك الاخبار المترجمة عن كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغير ذلك من معارفهم الصناعية

التي لها موقع في امر الدين كالذي نحن فيه بالاولى
وعن هذا وشبهه عد جمع من مشايخنا وغيرهم الحساب والطب
في جملة العلوم المفروضة على سبيل الكفاية مع انهما من
علوم كفار الفلاسفة وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر في كتاب
الاستيعاب ان الحارث بن كلدة الثقفي كان طبيبا في العرب
حكيما مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامه ثم قال
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سعد بن ابي وقاص
ان يأتيه يستوصفه في مرض نزل به قال ابو عمر فدل ذلك
على انه جائز ان يشاور اهل الكفر في الطب اذا كانوا من
اهله انتهى قلت وفيه ايضا دليل لما ذكرنا على ان مذهبنا
جواز الاستعانة باهل العهد في نفس الجهاد فاذن ما هو من
وسائله قال الامام السرخسي في مبسوطه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان
بيهود بني قينقاع على بني قريظة قال وفي هذا دليل
انه لا باس للمسلمين ان يستعينوا باهل الذمة في القتال

مع المشركين قال وقد كره ذلك بعض الناس فقالوا فعل
المشرك لا يكون جهادا فلا ينبغي ان يخلط بالجهاد ما ليس
بجهاد واستدلوا على ذلك بما روي ان رجلين من المشركين
خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
لا يغزون معنا الا من كان على ديننا فاسلما قال ولكنا نقول
في الاستعانة بهم زيادة كبت وغيظ لهم والاستعانة بهم
كالاستعانة بالكلاب عليهم وانما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك لعلمه ان الرجلين يسلمان اذا ابى ذلك عليهما
الا ترى انه قال في الحديث فاسلما قال وقيل كان يخاف
الغدر منهما لضعف كان بالمسلمين يوم بدر كما قال الله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاذا خاف الامام ذلك
فلا ينبغي ان يستعين بهم وان امنهم من الاختلاط بالمسلمين
ففي هذا دليل ما ذكر من حديث الضحاك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج يوم احد فاذا كتيبة حسناء او قال
خشناء فقال من هؤلاء قالوا يهود كذا وكذا قال لا نستعين

بالكفار وتأويله كانوا متحيزين في أنفسهم لا يقاتلون تحت
راية المسلمين وعندنا انما نستعين بهم اذا كانوا يقاتلون
تحت راية المسلمين فأما اذا انفردوا براية لأنفسهم فلا يستعان
بهم انتهى وهو تأويل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تستضيئوا بنار المشركين انتهى

فصل في السياسة السياسة لغة مصدر ساس الرعية
يسوسها سياسة اذا امر فيها ونهى بشرط اصابة الصواب
فيهما وتطلق على حسن التدبير وجودة الرأي وعرفا بانها
القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام
الأحوال قال في معين الحكام والسياسة نوعان سياسة
ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق
من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتردع اهل الفساد
ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب المصير
اليها وهي باب واسع تضل فيه الأفهام وتزل فيه الأقدام
واهماله يضيع الحقوق ويجرئ اهل الفساد ويعين اهل العناد

والتوسع

والتوسع فيه يفتح ابواب المظالم الشنيعة ويوجب سفك
الدماء واخذ الأموال المحترمة ولهذا سلكت فيه طائفة
مسلك التفريط المذموم فقطعوا النظر عن هذا الباب
الا فيما قل ظنا منهم ان تعاطي ذلك مناف للقواعد الشرعية
فسدوا من طرق الحق سبلا واضحة وعدلوا الى طريق من
العناد فاضحة لأن في انكار السياسة الشرعية ردا للنصوص
وتغليطا للخلفاء الراشدين وطائفة سلكت في هذا الباب
مسلك الافراط فتعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع
الى انواع من الظلم والبدع السياسية وتوهموا ان السياسة
الشرعية قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة وهو جهل
وغلط فاحش فقد قال عز من قائل اليوم اكملت لكم دينكم
فدخل في هذا جميع مصالح العباد الدينية والدنيوية
وقال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن
تضلوا كتاب الله وسنتي وطائفة توسطت وسلكت فيه
مسلك الحق وجمعوا بين السياسة والشرع فقمعوا الباطل ودحضوه

ونصبوا الشرع ونصروه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم انتهى واذا عرفت هذا الأصل فاعلم ان جميع ما رتبته
ائمة الكفر من سياستهم العقلية فنحن في غنى عنه بما انزله
الله تعالى لنا في كتابه المبين وسنه لنا نبينا الصادق الأمين
الذي ما ينطق عن الهوى واثنى عليه تعالى بقوله وانك
لعلى خلق عظيم فكان له صلى الله عليه وسلم من اعتدال
الطبع وكمال العقل ما لا يطاق ولا يكيف والعقول
التي ما ايدتها العصمة الربانية ولا صاحبها التوفيق
وان بلغت ما بلغت من الكمال لا تخلوا عن شوب هوى وداع
نفسانية فكيف بعقول اضلها الله واخرجها بضلالها من
درك ظلمات الكفران فاعتقدت الوهية بشر زعمت
ان اليهود احقر خلق الله قتلوه وصلبوه اذ لم تهتد عقولهم
ان يفقهوا على وجه الصواب ويكفي تعاميهم عن دقائق الحكم والاسباب
وانما قصارى امرهم ما قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا فهم على امر دنياهم يتكالبون وهوى انفسهم

وحظوظها في نار من الظلم يتهافتون والسياسة التي شرعها
الله لنا من حدود وعبادات واخلاق وآداب سياسة قصد
فيها الى عمارة الدنيا والآخرة تكفل لنا ببيانها العليم
الحكيم وشرحها لنا نبينا البشير النذير بيضاء نقية محفوظة
بضمانة لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم محرمة الجناب
محماة الذمار ونظرة الشرع الكريم فان يرضى من له عقل
ودين ان يعدل عن صفوها الى الكدر او يعتاض عن الدر بالمدر
وانما قصارى امر ما ينبغي من ذلك ان يطرق اسماعنا شيء
منه له اصل في شرعنا ويروج عندنا السلوك عليه فنبتدئ
العمل به على نية اخذه من شرعنا لا على قصد اتباع من هم
فيه فانه لا يحل لنا ذلك لما روى الامام احمد والبيهقي
رضي الله عنهما في الشعب عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه اتاه عمر رضي الله عنه فقال انا نسمع
احاديث من يهود تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال
امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها

نبينا نبيه ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قال
ابن الاثير في النهاية المتهوك كالمتهور وهو الوقوع في الامر
بغير روية والمتهوك الذي يقع في كل امر وقيل هو التحير
انتهى فاخبر صلى الله عليه وسلم انه لو كان موسى عليه الصلاة
والسلام في قيد الحياة لم يجز له ان يعمل بشيء مما انزل الله
عليه من شريعته التي خوطب بها الا بعد ان يعلم ثبوت
ذلك في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ويقصد الى اتباعه
والاقتداء به فيه واذا كان هذا في حق موسى وكتابه الذي
انزل عليه فما بالك بغيره ثم اعلم ان مبنى السياسة
الشرعية ثلاثة اشياء اللين وترك الفظاظة والمشاورة
وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها ولا طالب
لها ولما علم الله ما فيها من انتظام الملة واستقامة الامر
نص عليها الله سبحانه ورسوله وهي اساس الملك وقل
من يعمل بها الا من وفقه الله فاثنتان نزلتا من السماء وواحدة
قالها النبي صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر
قال الامام ابو الوليد الطرطوشي في سراج الملوك وفي الاية
اشارتان احداهما الفظاظة تنفر الاصحاب والجلساء
وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسائه واصحابه
وحشمه واتباعه والخلق بجملته تنفر الاولياء وان تطمع
الاعداء فمن يكن سلطان رفعهما والاحتراز من سوء مغبتهما
ولكنا كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين قال وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى
ان الرياح هبت اصولها فتداخل لها الشجر وتنعطف
الافنان والاغصان وفي الفرط تكسر الاغصان والماء
يلين في اصول الشجر يقلعها من اصلها واذا كانت الحية
مع صعوبتها وخبثها في جحرها ترقى بالكلام
حتى تنعطف خارجة فالانسان احرى ان يستمال بلين القول
وحسن المنطق قال والاشارة الثانية انه قال وشاورهم

في الأمر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم
وواجب عليهم مشاورته فان لا يفعلوا امرا دونه قلنا هذا
ادب ادبه الله به نبيه عليه الصلاة والسلام وجعله
مادبة لنا في الملوك والامراء والسلاطين لما علم الله تعالى
ما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساهمته في الامور
فان نفوس الجلساء والصلحاء والوزراء تصلي عليه وتميل اليه
وتخضع عنوة بين يديه شرعة لنبيه وذوي الامر من اهل
ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان في غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول
الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان يكن غير ذلك
فليس بمنزل نعم منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ارتحلوا قال ومن اقبح ما يوصف به رجال ملوكنا
كانوا اوسوقة الاستبداد بالرأي وترك المشاورة [illegible]
[illegible] البخاري ومسلم ان رجلا قال يا رسول
الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لا نستعمل

على عملنا من اراده [illegible] قال العالم [illegible] والسر فيه ان الولايات
امانات وتصريف في ارواح الخلق واموالهم والتسرع
الى الامانات دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد اكلها
واذا ائتمن خائن على موضع الامانات كان كمن استرعى
الذيب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا
على ملوكنا لانه اذا هضمت حقوقهم واكلت اموالهم
فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعاء والشكوى وذكروا
سائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كما قيل الشاعر
وداعي الشاء يحمي الذيب عنها ... فكيف اذا الذئاب لها رعاء
قال وانما نحن اهل الامانات ونساء الولايات كانت
الامر كما [illegible]
الملك يبلغ ما يخشى تبديده ... فكيف بالملك اذا حلت به الغير
واعلم ايها الملك ان الملك عندك رجل فانه انت
وقلبه ونيتك ويداه افعالك ورجلاه رعيتك وروحه
عدلك وما بقيا جسد بلا روح واذا اردت نذوة الملك

فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير وصغير ووسط فاجعل
كبيرهم ووسطهم اخا وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم اخاك
وارحم ابنك فانك واصل لامر الله ورحمته والتفت
حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء
والجند اساسه فاذا قوي الاساس دام البناء وان ضعف
الاساس انهار البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال
ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا
بعدل فصار العدل اساسا لسائر الساعات فلذلك
ينبغي ان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفظة
دينه وشعائره وهم الادلاء على الله والقائمون
بامر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال
لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم
فاتخذ ايها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدوم مملكتك

نصائح العلماء ودعوات الصلحاء والخلق بملك يدور بيت
هاتين الخصلتين ان يقوم عموده ويطول امده وكيف لا
وقد شرفهم الله في سلطانه واصطفاهم بخالص معرفته
فقال شهد الله انه لا اله الا هو العزيز الحكيم والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم فبدأ بنفسه
وثنى بملائكته وثلث باولي العلم وهم ورثة الانبياء
عليهم السلام والمعروفون من الله تعالى ان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم تعظيمهم وتقريبهم امتثال
لامر الله تعالى وتعظيما لمن اثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم
وتمييز مواضعهم عمن سواهم قال الله تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وفيه استمالة
قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته
وتوقيره فيجب على السلطان ان لا يقطع امرا دونهم ولا
يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته
يتصرف ومن الواجبات على السلطان ان يبذل نصحه للامة

منه لانه لا ثقة معه ليس اذا خالف واليه امره وما رسمه
له من الاحكام عزله وعاقبه ومن لم يأمن سطوته واذا امتثل
وامره واذا رجع عن زواجره حل منه محل الرضا فواجبا
لمن يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف من سطوة ربه
عليه اذا خالفه قال هذا طريق اقامة العدل الشرعي
والسياسة الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الاخذة
لازمة التدبير السالمة من العيوب المحمودة لاستقامة الدنيا
والدين … الامام الاسنوي في رسالة له فقال
ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل
عليه بهلول المجنون فقال له يا امير المؤمنين اعذر جلساء
السوء واتخذ جليسا صالحا يذكرك بمصالح خلقه اذا غفلت
والنظر فيهم اذا سهوت فان هذا انفع لك وللناس واكثر الاجر
مما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج ان الرجل يلقي الكلمة
عند ذي سلطان فيعمل بها فتملأ الارض فسادا كما قال صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فيهوي

بها في النار سبعين خريفا ولا تكن يا امير المؤمنين ممن قال الله
تعالى فيهم واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه
جهنم ولبئس المهاد … له … فقال يا امير المؤمنين
ان الله قد اقامك للناس وجعل امرك فيهم مطاعا عاما
وكلماتك فيهم نافذة وامرك فيهم ماضيا فما ذلك الا لتحملهم
على الاتيان بما امر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وتعطي
من هذا المال الارملة والشيخ الكبير واليتيم وابن السبيل
يا امير المؤمنين اخبرني فلان عن فلان عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة جمع الله
الاولين والآخرين في صعيد واحد احضر الملوك وغيرهم
من ولاة الامور فيقول لهم لم اجعلكم من بلادي تجمع الاموال
وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعتي وتنفذوا فيهم امري
ونهيي وتنصروا اوليائي وتذلوا اعدائي وتنصروا المظلومين
من الظالمين يا هارون فانظر كيف يكون جوابك عما تسأل
عنه من امور العباد في ذلك الموقف ويلك مقولتان

ما ملكت ونجعهم بين يديك والولاية محيطة بك تنظر
ما يؤمن فيك فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا فقال
له بعض الحاضرين كدرت على أمير المؤمنين في مجلسه
فقال لهم هارون قاتلكم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد
من باعدتم عنه ثم خرج من عنده قال الامام ابو الوليد
في سراجه في باب سيرة السلطان مع الجند ان الجند
عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة
البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم
حفظة الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد
السلطان والجد الذي يلقى به العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح
الذي يقوى بخزه شوكتهم ويذب عن الحريم وتؤمن السبل وهم
حماة الارض والشوكة على العدو قال وعلى الجند عند
اللقاء الصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليمنعوا الطلب
وان كانت عليهم فليلبسوا الاعنة وليجعلوا الاسنة قال وينبغي
للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه

فيقطع

فيقطع العشب الذي لم ينفع فان العشب ما لا ينفع ومع ذلك
يضر بالنبات النافع وهو بالقطع اجدر ولا يصلح الجند
الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والكفايات لهم عند
قدر غنائهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف
على سعود الامة وعكسها قال وقال ابرويز لابنه
شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن
عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا
جميلا واوسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء
قال ولما انتهى الامر الى ابي جعفر المنصور انشد بيتا
وقال لقائد من قواده بمثل هذه السياسة ثم قال صدق الاعرابي
اجع كلبك يتبعك فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير
المؤمنين اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك
قال وروي ان كسرى صنع طعاما في سماط فلما فرغ ورفعت
الآلات وقعت عينه على رجل من اصحابه قد اخذ جاما له
قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يتفقدون الآلات

فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم فقالوا
فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم أخذه من لا يرده ورآه
من لا يفضحه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه
حلة جميلة ونعال مستجدة فقال له كسرى أهذا من ذاك
قال نعم ولم يقل له شيئا وسئل عمرو بن معاذ وكانت
على الطوائف ثم قدم على الطوائف فقال بسياسة الفرس
كانوا يغزون في كل سنة ويكفون الحروب في بلاد الروم فقال
بسياسة الفرس والفدية والكلمات [illegible] ويروى أن بعض
ملوك العرب كان ظالما لرعيته شديدا لهم فإذا هم في أمرهم
يتعوذون في ذلك فقال اجمع كلابك فجمعها فوثبت عليه
فقتلوه فقال فيه بعض الحكماء فقال ربما أكل الكلب صاحبه
إذا لم يشبعه وقال [illegible] في باب جباية الخراج [illegible] إن المال
قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الأمن ونتاجه العدل
على العدو وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال أقوى
العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة

الأرض ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن
معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود
عليها نفعها فيا أيها الملك احرص كل الحرص على عمارة
الأرضين من جباية الأموال بالرفق ومجانبة العنف
فإن الملقة تنال بالكريم بغير أذى والصوت مالا تناله
العوصة بشغبها وهو صوتها [illegible] ولما عزل عثمان
عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن أبي السرح فحمل
من المال أكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو درت
اللقاح بعدك فقال عمرو ذلك لأنكم أعجفتم أولادها
قال [illegible] في الأمثال إذا استقصى الحالب مصارمه [illegible] في
منثور الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم [illegible] وقال زياد
[illegible] إلى الأطراف فإنكم لن تنالوا مثل ما صنعوا [illegible]
جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل
ولا استنزر بمثل الظلم وأسرع الأخذ في خراب البلد [illegible]

وتعطيل الارضين وهلاك الرعية واكثر الخراج بالجور
والتحامل ... وروى ان المأمون ارق ليلة فاستدعى
سميرا يحدثه بحديث فقال يا امير المؤمنين كان بالموصل
بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة
البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا اخطبك بنتي
الا ان تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل
لا اقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة
واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظها المأمون وجلس
للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امر الولاة
قال ... في باب سيرة السلطان في بيت المال هذا باب
سلكت فيه ملوك الطوائف والهند والصين والروم خلاف
سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت
الملوك تدخر الاموال وتحجبها عن الرعية لنفسها في يوم
كريهة وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا
تدخرها وتصطنع الرعية وتوسع عليها وكانت الرعية هم

الحماة

الحماة والجناد وهذه سيرة محمد نبينا عليه الصلاة والسلام
وقد علمتم ان جوعه اكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهون
في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدين بعده
لم يكن للنبي عليه الصلاة والسلام بيت مال ولا للراشدين
بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها
بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلات او يكون للناس
عنها غنى في ذلك الوقت فتجعل في بيت من يحضر من غائب
واحتاج من حاضر فقسم له حظه ثم تفرق حتى لا يبقى
في بيت المال منه درهم ... ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء
يا حمراء ابيضي واحمري وغري غيري ثم امر فقسم ما فيه
على المسلمين وامر ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه
... ومعظم ما اهلك ملوك الاندلس وسلط عليهم
الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم يكن لهم بيوت اموال
وكانوا ياخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون

الكنيسة فلسماها سلاطينهم عاش رجاله بالقياس وبانشد
مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئا منها وانما كانوا يصطفون
بها الرجال وكانت سلاطيننا تجمع الاموال وتضيع الرجال
فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت اموال
فبهذه العلة قهرونا وظهروا علينا كل من يذهب
هذا المذهب ولا يجمع الاموال تضرب به الامثال
قال ويقال عدو الملك بيت المال وصديقه جنده
فاذا ضعف احدهما قوي الآخر واذا كان الدفاع بالرجال
لا بالاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال
وبذلك ثبت ان رجال خير من بيت مال انتهى
الامام رضي الدين السرخسي في المحيط وما يجيء الى
بيت المال انواع اربعة احدها الزكاة والعشر ومصرفها
ما ذكرنا بعض ما تضمنه قوله تعالى انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي
الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة

من الله والله عليم حكيم كما وقع تفسيره والثاني خمس
الغنائم والمعادن والركاز ومصرفها اليتامى والمساكين
وابناء السبيل على ما قال الله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فسهم الله ورسوله واحد وذكر الله
للتبرك ولاظهار فضيلة هذا المال وسهم الرسول
سقط بموته لقوله صلى الله عليه وسلم ان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا هذا العلم فمن اخذ هذا
العلم فقد اخذ بحظ وافر وسهم ذوي القربى ساقط
عندنا والثالث الاخرجة والجزية وما يؤخذ من تجار
اهل الذمة والحرب وما صولح عليه اهل نجران من
الحلل ومن بني تغلب من المضاعفة يصرف الى عطايا المقاتلة
وسد الثغور وبناء الحصون والى مراصد الطريق في دار
الاسلام حتى يقع الامن عن قطع اللصوص الطرق
والى اصلاح القناطر والجسور وبناء الرباطات

ولما يبنى والى سد الثغور وتحصين ما يخاف عليه الثغر وكرى
الانهار العظام والى ارزاق الولاة واعوانهم وارزاق
القضاة والمفتيين المحتسبين والمعلمين وكل من تقلد شيئا
من امور المسلمين والى ما فيه مصالح المسلمين لان الخراج
قائم مقام الغنيمة لانه لا يوظف الا على الاراضى
التى فتحت عنوة وقهرا وصارت غنيمة للمسلمين ثم الامام
يضعه على اهلها بالخراج ولجميع المسلمين حظ فى الغنيمة
وانما تصرف فى نوائب المسلمين وحوائجهم فكذلك الخراج
الذى هو قائم مقامها والرابع اللقطات والتركات
التى لا وارث لها ومصرفها نفقة اللقيط والمرضى
وادويتهم اذا كانوا فقراء وتكفين الموتى الذين لا مال لهم
وعقل جناية اللقيط زاد فى التجنيس والى نفقة من هو
عاجز عن الكسب وليس له من يقضى بنفقته عليه انتهى
لانه لجميع المسلمين فيصرف الى نوائبهم ذلك فعلى الامام
ان يجعل بيوت المال اربعة لكل نوع بيتا لان لكل مال

حكما يختص به لا يشاركه مال آخر فيه فان لم يكن فى بعضها
شىء فللامام ان يستقرض عليه مما فيه مال فاذا استقرض
من بيت مال الصدقات على بيت مال الخراج فاذا اخذ
الخراج يقضى المستقرض من الخراج لان الصدقات
مصروفة الى المحتاجين خاصة فاذا صرفها الى المقاتلة
والى نوائب المسلمين ولا حظ لهم فيها صار ذلك قرضا
عليهم الا ان يكون المقاتلة فقراء فلا تصير قرضا عليهم
لان لهم حظا فيها وان استقرض من بيت مال الخراج
على بيت مال الصدقات وصرفه الى الفقراء لا يصير قرضا
عليهم لان الخراج له حكم الفىء والغنيمة وللفقراء حظ
فيها وانما لا يعطون لاستغنائهم بالصدقات فاذا احتاجوا
اليه يصرف اليهم ذلك وعلى الامام ان يتقى الله تعالى
فى صرف الاموال الى مصارفها وايصال الحقوق الى اربابها
ولا يحبسها عنهم على ما يرى من تفضيل وتسوية من غير ان
يميل فى ذلك الى هوى ولا يحل لهم الا ما يكفيهم ويكفى

اعطاهم بالمعروف وان فضل من المال شيء بعد ايصال
الحقوق الى اربابها قسموه بين المسلمين فان قصروا في ذلك
وتعدوا كان الله حسيبا عليهم ذلك ولا شيء لاهل الذمة
في بيت المال لانه حق المسلمين فلا يستحق منه شيء الا بوصلة
الدين الا ان يرى الامام ذميا هالك جوعا فعليه ان
يعطيه من بيت المال لانه من اهل دار الاسلام فكانت
عليه احياؤه انتهى قدمنا عن المغيثة ان عمر رضي الله عنه
كان يعطيهم على قدر الحاجة والفقه والفضل وان الاخذ
به في زماننا احسن انتهى قلت لكن محله ما اذا كان
في بيت المال سعة كما هو ظاهر والا فليس الا الكفاية
ومما يؤثر عن عمر رضي الله عنه في هذا الباب ما روى ابن
سعد وابو عبيد في كتاب الاموال وابو عبد الحكم عن يزيد
بن ابي حبيب عمن ادرك ذلك قال كتب عمر بن الخطاب
الى عمرو بن العاص انظر من كان قبلك ممن بايع النبي صلى
الله عليه وسلم تحت الشجرة فاتم لهم العطاء مائتي دينار

وتمم

وانما لنفسك لا مرتك وانما لخارجة بن حذافة لشجاعته
ولعثمان بن ابي العاص لضيافته وما روى ابن سعد وابن جرير
عن محمد بن سيرين ان صهرا لعمر بن الخطاب قدم على عمر فعرض
له ان يعطيه من بيت المال فانتهره عمر وقال اردت ان القى
الله ملكا خائنا فلما كان بعد ذلك اعطاه من صلب
ماله عشرة الاف درهم وما روى ابن سعد عن الحسن قال
كتب عمر رضي الله عنه الى حذيفة ان اعط الناس اعطياتهم
وارزاقهم فكتب اليه انا قد فعلنا وبقي شيء كثير فكتب اليه
عمر انه فيئهم الذي افاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل
عمر اقسمه بينهم وما روى ابو عبيد وابن سعد عن الاحنف
بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر فمرت جارية فقلنا
سرية امير المؤمنين فسمعت فقالت ما انا بسرية امير المؤمنين
وما احل له اني لمن مال الله فذكر ذلك لعمر فقال
صدقت وساخبركم بما استحل من هذا المال استحل منه حلتين
حلة للشتاء وحلة للصيف وما يسعني لحجي وعمرتي وقوتي

وقوت اهل بيتي وسعت في المسلمين كلهم رجل ليس بافقهم
ولا اوضعهم الا انه هو وترشى من اسباب النصر
والقوة قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال
الامام ابو الوليد الطرطوشي في سراجه رحمه الله تعالى
النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرائط كما ترى فمتى
تضعضعت قواعدهم وانتقض عليهم من اطرافهم ما كان لهم او
ظهر عليهم عدو او باغية فتنة او حادثة كفة او اضطربت
عليهم الامور وراق اسباب الغيب فليلجؤوا الى الله تعالى
وليتبرؤوا من سوء اقتداره باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه
باقامة الميزان القسط الذي قامت به السموات والارض
واظهار شعائر الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد
الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومواساة الفقراء
والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين

وليعلموا انهم قد اخلوا بشيء من الشروط الاربع التي
شرطت في النص ايضا وروى ابو داود عن جابر وابي طلحة
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته
وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موطن
ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره
الله في موطن يحب فيه نصرته وروى ابن حبان في صحيحه
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله ومن
اسخط الله برضا الناس وكله الله الى الناس وروى
ابو داود عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون
في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه
ولا يغيرون الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا

ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا أيها الناس إنكم
تقرؤن هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا
على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده
ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي من يثق به فيما نابه
ويفوض أمره اليه فانه كافيه ما اهمه بحيث لا يحتاج معه
الى غيره الامام حافظ الدين في المستصفى المتوكل من
وكل اليه الامر أي فوض قال ابو تراب التوكل طرح البدن
في العبودية وتعلق القلب بالربوبية وقد قيل
وكلت الى المحبوب امري كله فان شاء احياني وان شاء اتلفا
وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب
وهو من أعز المقامات عند ارباب الطريقة انتهى
وليس المراد من قطع الاسباب ترك تعاطيها في اماكن الحاجة

اليها فانه خلاف الشريعة وانما المراد ترك الاعتماد
عليها باعتقاد القلب انه لا موجود يعتمد عليه ويلجأ
اليه الا الله وحده والرضا بفعله والاذعان لحكمه
بسكون النفس والجوارح عن كل فعل لا يبيحه الشرع وقبض
اللسان عن النطق بكلمة فيها اعتراض على الله تعالى فيما
يفعل من خير أو شر فانه اعلم بما يفعل فمن اعترض عليه
في امر من الامور فقد نقض توكله والمذكور هنا
يناسب وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب
الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني
فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعل
فان لو تفتح عمل الشيطان فالتوكل على الله تعالى بهذا
المعنى من اعظم ما يتقوى به على دفاع الاعداء والاولى
ان ينضم الى توكله بالقلب نطقه به بقوله حسبنا الله ونعم

الوهلة فانه قد ابلغ ذلك عنى حيدة لمن قاله من الصحابة
وهم الذين حضروا غزوة احد استنفرهم النبي صلى الله
عليه وسلم لاتباع المشركين بعد ان توجهوا الى مكة
تجلدا فاستجابوا له على ما بهم من الجراح قال تعالى الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم روى ابن
جرير في تفسيره عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عصابة من اصحابه بعد ما انصرف ابو سفيان
واصحابه من احد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة فجعل الاعراب
والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا ابو سفيان مائل
عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله
تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم

فزادهم

فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال تعالى
حكاية عن طالوت واصحابه في حربهم مع جالوت ولما
برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت فقوله تعالى ولما برزوا
لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم وصاروا بالبراز من
الارض وهو ما ظهر واستوى والمبارزة في الحرب
ان يظهر كل قرن لصاحبه بحيث يراه قرنه فهذا الموطن
من مواطن الاجابة باشارة هذه الآية الكريمة وقد
روى ابو نعيم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ثلاث ساعات للمرء المسلم ما دعا
فيهن الا استجيب له ما لم يسأل قطيعة رحم او مأثما حين
يؤذن المؤذن للصلاة حتى يسكت وحين يلتقي الصفان
حتى يحكم الله بينهما وحين ينزل المطر حتى يسكن وروى
ايضا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند
الصف في سبيل الله حين يلتحم بعضهم بعضا ورواه الدار
قطني وابن حبان بلفظ ساعتان تفتح فيهما ابواب السماء وقل
ما ترد على داع دعوته عند النداء وعند الصف في سبيل الله
وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال تفتح ابواب السماء لقراءة القرآن
وللقاء الزحف ولنزول القطر ولدعوة المظلوم والاذان
وقوله قالوا اي جميعا او جمع منهم فالاجتماع على الدعاء
من اسباب الاجابة باشارة هذه الآية والاولى ان يكون
ذلك سرا وبين الجهر والاخفاء لانه الادب المطلوب
في الدعاء قوله تعالى حكاية عنهم ربنا افتتحوا دعاءهم بندائه
تعالى بوصف الربوبية المنبئ عن التربية التي هي الايصال
الى الكمال اعترافا بالعبودية وتبريا من الحول والقوة
وتعريضا للتوكل عليه سبحانه وتعريضا بالاجابة الى
المطلوب على كل وجه ومعنى افرغ علينا صبرا اي صبه علينا

حتى يستغرقنا كصبه عن كماله والصبر هنا حبس
النفس للقتال وتحملها شدائد الحرب ومشاقه وتثبيت الاقدام
كناية عن تشجيع قلوبهم وتقويتها فدعاء هذه الآية الشريفة
من آكد ما ينبغي ان يدعى به عند لقاء العدو ان يستعمل الوارد
فيه فهو افضل من غيره لتنصيص الشارع عليه وتعليم الشرع
خير من اختيار العبد كما في شرح الاحياء لشيخ مشايخنا
المرتضى ومن الوارد في هذا الباب ما روى البخاري ومسلم
عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض ايامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى مالت الشمس
ثم قام وقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا
الله تعالى العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان
الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب
ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
وفي رواية اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب
اللهم اهزمهم وزلزلهم ورواه ابو داود والنسائي والترمذي

وعنه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل قال الإمام النووي في الأذكار معنى عضدي عوني وقال الإمام الخطابي في معالم السنن معنى أحول أحتال قال وفيه وجه آخر وهو أن يكون معناه المنع والدفع من قولك حال بين الشيئين إذا منع أحدهما من الآخر فمعناه لا أمنع ولا أدفع إلا بك انتهى وروى أبو داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال اللهم إنا نجعلك في نحورهم وروى ابن السني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فإذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم وقلوبنا وقلوبهم بيدك وإنما تغلبهم أنت وروى أيضا عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فلقي العدو فسمعته يقول يا مالك يوم الدين

إياك

إياك أعبد وإياك أستعين وروى ابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل ومما له تعلق بهذا الموطن ما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا كربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وروى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامة من شر غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون وروى ابن السني عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب
أغاثه الله عز وجل ومن السنة عند الزحف قراءة سورة الأنفال
قال الإمام البقاعي في مصاعد النظر وفي كتب الفتوح
في وقعة القادسية من بلاد العراق قالوا ولما صلى سعد
بن أبي وقاص رضي الله عنه الظهر أمر غلاما كان عمر رضي
الله عنه ألزمه إياه وكان من القراء بقراءة سورة الجهاد
يعني الأنفال وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها
فقرأها على الكتيبة التي تليها وقرئت في كل كتيبة فهشت
قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها قال مصعب بن
سعد وكانت قراءتها سنة يقرؤها رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند الزحف ويستقرؤها فعمل الناس بذلك قالوا
ولما فرغ من القراءة كبر سعد فكبر الذين يلونه وكبر بعض
الناس بتكبير بعض فتحشحش الناس ثم ذكر أمر اليوم الأول
في القتال قال وفي الفتوح لأبي القاسم عبد الرحمن
بن حبيش وكذا تلميذه الحافظ أبي الربيع بن سالم الكلاعي

في أواخر وقعة اليرموك عن كتاب سيف بن عمر ما نصه
وكان القارئ يوم ذلك المقداد بن الأسود فالذي من
السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر
أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهي سورة الأنفال
ولم يزل الناس بعد على ذلك انتهى ومن الاستفتاح بالضعفاء
والفقراء قال البغوي في شرح السنة عن أمية بن خالد
بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح
بصعاليك المهاجرين أي فقرائهم وقوله يستفتح قال البغوي
أي يستفتح القتال بهم كأنه يتيمن بهم وقيل يستفتح أي
يستنصر والاستفتاح الاستنصار ويدل له تفسير
قوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول إن تستنصروا
فقد جاءكم النصر انتهى وبالأخير جزم الإمام السيوطي
في الدر المنثور مقتصرا عليه فالمراد طلب الدعاء
منهم بالنصر روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي
والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم ابغوني بهمزة وصل مكسورة أي اطلبوا
طلبا حثيثا الضعفاء من يستضعفهم الناس لفقرهم
ورثاثتهم أو ضعف أبدانهم وقوله بضعفائكم قال
الإمام المناوي بسبب كونهم بين أظهركم أو بسبب رعايتكم
ذمامهم أو ببركة دعائهم قال والضعيف إذا رأى عجزه وعدم
قوته تبرأ من الحول والقوة بالإخلاص واستعان بالله
فكانت له الغلبة كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن
الله بخلاف القوي فإنه إنما يظن أنما يغلب الرجال بقوته
فتعجبه نفسه غالبا وذلك سبب للخذلان كما أخبر تعالى
عن بعض من أعجبته كثرته حنين انتهى وروى البخاري عن
مصعب بن سعد قال رأى سعد أن له فضلا على من دونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تنصرون
وترزقون إلا بضعفائكم وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث

مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ومن أسباب القوة
التواضع والعفو عن الخطأ لما روى مسلم والترمذي
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا
بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل
وروى أحمد والترمذي وقال حسن صحيح واللفظ له
عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا
فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم
عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد
باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر وكلمة نحوها
ومنها التوبة قال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون رتب ترجي الفلاح الذي
هو الفوز بالبغية على التوبة فدل أنه سبب عظيم
أركان التوبة ثلاث الأول الإقلاع عن المعصية بإيفاء الحقوق

واتحلال المظالم والعزم على ان لا يعود والندم على
ما فات من ذلك والأمر في الأول اليوم كالمتعذر الا
لمن وفقه الله فينبغي لمن له مظلمة او حق قبل جندي
خرج غازيا ان يسامحه ويعفو عنه حتى لا يعود صاحب
مظلمة على الاسلام والحمد لله حمدا كثيرا على جزيل نواله
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله قال جامعه ومؤلفه
الفقير اليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين
الرومي الحنفي الشهير بلده بابن الخطاب نزيل مصر القاهرة
حرسها الله بمنه فرغت من جمعه بتاريخ
رابع عشرين رجب من سنة اثنتين
واربعين واثني عشر مائة
من هجرته صلى الله
عليه
وسلم

وكان الفراغ من كتابته صبيحة يوم الجمعة المبارك ثاني عشر
شهر من شهر رمضان المبارك سنة الف ومائة
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

ستبلى اليد مني في التراب ... ويبقى الخط بعدي في الكتاب
فياليت الذي يقرا خطي ... دعا لي بالنجاة من العذاب
خلقت من التراب بغير ذنب ... وارجع بالذنوب الى التراب

يا قاري يا ناظري سألتك بالذي ... يحيي ويميت والعظام رميم
ان تسأل الله يغفر ذنبي ... فضلا فربي لا يزال رحيم